الشيطان
الذي بداخلي

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتاب: الشيطان الذي بداخلي
التأليف: عمر فضل الله
موضوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: 240 صفحة
عدد الملازم: 15 ملزمة
مقاس الكتاب: 14*20
عدد الطبعات: الأولى
رقم الإيداع: 2024/22209
الترقيم الدولي: 978-977-9679-006

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

hakayaproduction@gmail.com
01551751909 _ 01096476744

الشيطان
الذي بداخلي

رواية

عمر فضل اللّه

عطاوي
للإنتاج الفني

الإهداء

إلى ذلك اللص العملاق الذي سلبني كل ما أملك في أحد الأزقة ببروكلين هايتس نيويورك في ثمانينيات القرن الماضي. شكراً جزيلاً فقد أيقظت الشيطان الذي كان يغفو بداخلي، فانطلق مارداً يبحث عن الحقيقة في أزقة الزيف، حقيقتي وحقيقتك، وحقيقة هذا العالم المزيف، الذي يخفي وجه القبح بقناع الجمال، وحقيقة أولئك الضائعين التائهين في شوارع أغنى دول العالم، يمتهنون الجريمة سبيلاً لكسب المال حين سُدت أمامهم طرق الكسب والعيش الشريف.

وإلى تلك الفتاة الغاضبة (إيزيس - ذا هِتْ) زعيمة عصابة المحاربين المخادعين ببروكلين، تلك التي علمتني أسلوب قتال الشوارع، لأدافع عن نفسي في وجه عتاة المجرمين: أهدي إليكما هذه الرواية، لعلكما تجدانها أو لعلها تجدكما - أينما كنتما - فتتذكران ما فعلتماه بذلك الفتى الغِرِّ ذي العشرين، القادم من وسط أفريقيا ينشد العلم ويحلم بالمدينة الفاضلة.

المؤلف

مقدمة لابد منها

لست أعلم حينما شرعت في كتابة هذا العمل، وتدوين ما حدث لي على الحقيقة، إن كنت أريد فضح حقيقة فتية الشوارع والانتقام منهم جرَّاء ما فُعل بي أول ما وطئت قدماي مدينة نيويورك، أو أن عقلي الباطن معجبٌ بسلوكهم الإجرامي الذي ينم عن قدرات جسدية وعقلية يفتقدها غيرهم، وإن سخروها للجريمة. لكنني أردت حقاً أن أغوص في دواخلهم، وأصارع شياطينهم التي سولت لهم تلك الأفعال، بل نظمتها وأطرت لها ثم بررتها. لعله عند ذلك يفهم القراء الدوافع والأسباب التي حملت هؤلاء على ممارسة إجرامهم المتقن. لقد سيطر عقلي الباطن على كل كلمة كتبتها، فأجبرني على قول الحقيقة العارية المجردة من التزويق والتلفيق. حينما شرعت في الكتابة ظننت أنني بذلك سوف أنتقص منهم، أو أقتص لنفسي، فأبين أي طريق خاطئ سلكه هؤلاء الفتية، وأي شر جلبوه على أنفسهم وأسرهم ومجتمعاتهم، وأي مصير أسود ينتظرهم في ظلمات السجون وبقية أيامهم البائسة.

لكنني بعد الفراغ من الكتابة التمست لهم بعض العذر، فهؤلاء

ضحايا مجتمع مريض، وجدوا أنفسهم في غماره، ممسكاً بهم بمخالب لا فكاك منها، فكأنهم حشرة صغيرة لا حول لها ولا قوة، تخلت عن الحذر وهي تسعى، فأوقعتها حركتها الساذجة في بيت عنكبوت شرس، وكلما حاولت التملص منه والنجاة من شراكه ازداد التفاف شباكه حولها، ثم انقض عليها فنفث سمه فيها وبقي يتربص بها قبل أن يمتص رحيقها. لقد دفعهم الغضب من واقعهم هذا لسلوك الطريق المنحرف، والسبيل الذي لا يفضي بهم إلا إلى هاوية الموت الزؤام، والسقوط الوشيك في الدرك السحيق. لقد أحسست الغضب الرهيب يتدفق في شرايينهم ويجري في دمائهم، وأبصرت الحنق على كل أحد منعكساً في تصرفاتهم. رأيتهم يحاولون التنفيس عنه بالكتابة على الجدران والسيارات وحتى على أجسادهم. لقد حاولت جهدي أن أمد يدي إليهم لأصل إلى الجوانب المضيئة في قلوبهم فأنتزع منهم سلوكاً مغايراً. فيا ترى هل نجحت في هذا؟ ستعرفون الجواب في طي أحداث الرواية – فهي حقيقية بكل تفاصيلها وشخوصها والأماكن التي وقعت فيها تلك الأحداث – فما الذي جرى لي ولهم يا ترى؟

لقد كنت غراً ساذجاً، وغريباً عن المكان عندما حطت بي الطائرة في مطار (جي. إف. كينيدي) بمدينة نيويورك لأول مرة، وبدأت الحكاية حين قادتني قدماي للتجوال في أحد الأحياء الفقيرة في الضواحي التي

يقطنها السمر. يومها أغراني الفضول لإكمال السير، رغم القشعريرة التي انتابتني فتجاهلتها دون إدراك مني لخطورة ما أفعل. ولم أَدرِ، ولست إخال أدري إن كان حظي السيء أو الجيد هو ما أوقعني حينها في براثن أحد هؤلاء السمر العمالقة، وكان يفوقني طولاً وعرضاً، فقد فوجئت به يباغتني من الخلف، ليغرس فوهة مسدسه في صدغي، وكان صادقاً وهو ينصحني بصوت خافت هز كياني، فهمت منه أن أي التفاتة مني للخلف تعني تحول جمجمتي لأشلاء، وتطاير دماغي والتصاقه بالجدران، واستلام تأشيرة خروج للعالم الآخر بلا عودة.

الاستجابة لطلباته دون نقاش كان هو الحل الأمثل، فكان أن خسرت كل ما بحوزتي من نقود، وقد قررت في لحظة تعقل جبانة الاحتفاظ بروحي التي لا تعوض، فكان الثمن خروجي مهرولاً من الحي. ولم أصدق أنني نجوت من سوء صنيعي بنفسي.

هذا الموقف المؤلم والمخيف كان هو الشرارة التي دفعتني لمحاولة التعمق في حياة هؤلاء المشردين، والتعرف على مجتمعات أولاد الشوارع، وتقمص أحد أدوارهم. لقد أيقظ هذا الموقف شيطاناً في دواخلي، فانطلق بي يخالطهم كواحد منهم، فعشت معهم ردحاً من الزمن، سبرت فيه أغوار نفوسهم حتى عرفت أدق تفاصيل حياتهم. عرفتها من واقع الأسر التي أنجبتهم والحياة البائسة التي كابدوها، وشظف العيش في أغنى

الدول، وظلم المجتمع لهم، وطريقة اختيارهم لضحاياهم وفلسفتهم للجريمة، إذ يجعلونها حقاً مشروعاً لهم، ويتخذونها طريقاً وطريقة لتعايشهم مع مجتمعاتهم، وكذا طرائق هربهم من كمائن الشرطة.

عشت كل ذلك مستغلاً وحدة اللون، حتى إذا ما نضجت التجربة وجدت بين يديَّ مادة دسمة، ذات عمق نفسي ووجداني تستحق الكتابة، فلخصتها في هذه الرواية التي تنقل بصدق تجربة هؤلاء المشردين، لتعريف جمهور القراء بتفاصيل حياتهم. ثم تبين لي من بعد ذلك أنهم أصبحوا اليوم هم القادة الحقيقيين لمجتمعاتهم، فمنهم السياسيون والفنانون، ومغنو الراب، وأبطال المصارعة، وألعاب القوى، والممثلون والمشاهير ومصممو الأزياء ونجوم هوليود. أرجو ألا أكون قد أفسدت عليكم متعة القراءة بهذه المقدمة فإليكم التفاصيل.

❊❊❊

مرتفعات بروكلين

مدندناً مثل مغنٍ يطرب الجمهور في حفل بهيج، ومغرداً كعصفور رأى أول خيوط الفجر من عشه الدافئ والسماء صافية، انطلقت أتمشى قبيل الغروب، أتفحص هذه المدينة الصاخبة الساحرة، التي وصلتها منذ يومين، أمضيتهما متأثراً بمتلازمة اضطراب الرحلات الجوية الطويلة، ثم البرد القارس الذي لم أكن متحسباً له ولا مستعداً، رغم تحذيرات معارفي وتنبيهاتهم لي لأحمل معي بعض الملابس الثقيلة تحسباً للبرد، فقد عشت طول عمري في بلادٍ دافئة ولم أكن محتاجاً لهذا النوع من الملابس.

لكنني الآن بخير، فقد ارتديت معطفا ثقيلاً اشتريته من متجر قريب، وسرعان ما أحسست بالدفء والانسجام مع طقس هذه البلاد. لقد كانت الرحلة من مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة طويلة ومضنية، حيث توقفت الطائرة في عدة مطارات، قبل أن تحط بنا في مطار (جي. إف. كينيدي) بمدينة نيويورك، التي كانت هي محطتي الأولى في الشرق الأميركي، قبل أن أواصل الرحلة إلى لوس أنجلوس، للدراسة في أقصى الغرب.

اليوم هو الثلاثاء الأول من ديسمبر ١٩٨١، والبرد شديد. لكن شوقي للتنزه في المنطقة المحيطة غلبني، فلم آبه، وارتديت معطفي الجديد الذي كنت فرحاً ومزهواً باقتنائه، ثم غادرت غرفتي التي تم استئجارها لي لقضاء يومين في الفندق المسمى هوتيل بوسيرت، الواقع في ٩٨ شارع مونتاج في بروكلين هايتس، على مسافة نصف ساعة من المطار. لقد قررت أن أتمشى قليلاً قبيل الغروب. لم تكن الإقامة في ذلك الفندق من اختياري، فلو خيرت لاخترت نزلاً أقل تكلفة وقريباً من المطار، وليس هنا في مرتفعات بروكلين هايتس. لكن لم تكن باليد حيلة إذ لم أملك حرية الاختيار، ولم تكن لي معرفة مسبقة بهذه الأماكن، فأنا وافد جديد. ولذا قام صديقي (خليل) الجامايكي المسلم - زميل دراستي أيام مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك عبد العزيز - بالحجز ودفع التكلفة، وهو الذي كان قد سبقني إلى هذه البلاد. ها هو يستقبلني في المطار ليستقل معي عربة الأجرة إلى الفندق، ثم يصر أن يدفع الثمن كاملاً لإقامتي ليلتين، قبل أن يغادر إلى وجهته في ولاية نيوجيرسي المجاورة حيث يقيم هو وزوجته. شكر الله له فقد كان يعلم أنني لا أملك من المال إلا القليل، وأنني طالب قليل الحيلة عديم المعرفة بهذه الحياة الجديدة، وأن الليلتين اللتين دفع ثمن إقامتهما هما كل مدة إقامتي هنا قبل المغادرة متوجهاً إلى الغرب الأميركي.

(خليل) أو (كليل) Kalel – وتعني بالجامايكية (الابن) – هو زميل دراستي أيام الجامعة، فقد قدم هو وزوجته الأمريكية معاً للمملكة العربية السعودية ضمن منحة للدراسة على نفقة الجامعة بجدة، وكان يتلقى مكافأة أو مساعدة شهرية من إدارة الجامعة، هي منحة للطالب العازب، لكنها لم تكن تكفي لإقامته هو وزوجته معاً، ولم يعرف كيف يشرح ذلك لإدارة الإسكان. وحين أخبرني بظَرفه توسطت له ليتم تحويل منحته إلى منحة المتزوجين فيتمكن من الإقامة بطريقة لائقة، فتم له ذلك. وها هو يرد الجميل. لقد بقي معي يوماً كاملاً يؤانسني.

وبعدما غادر سرعان ما شعرت بوحدة ووحشة قاتلة، فرأيت أن أتجول قليلاً في الأزقة المحيطة مستكشفاً معالم المنطقة. كانت الشمس تؤذن بوداع هذا الحي العتيق فتضفي عليه لمحة ساحرة من ظلال طويلة ممتدة. ترى هل بروكلين هايتس مكان غريب فعلاً، أم أنني أنا الغريب؟ المنازل هنا ليست كتلك التي اعتدت عليها في جدة، فبيوت جدة في حي الجامعة واسعة، وبها ساحات وباحات، بينما هي صغيرة ومتلاصقة هنا في بروكلين، وكأنها تلوذ ببعضها خائفة من شيء لست أفهم كنهه! ولون الجدران البني المائل للأحمر والهدوء المريب، ولسان الناس الأعجمي. لا بد أن التعود عليه سيستغرق بعض الوقت، رغم أن إنجليزيتي ليست سيئة، لكن العبرة في اللكنة التي يتحدث بها هؤلاء الناس، فكأنها بعض

طلاسم سحرية، أو تعويذات ورثوها من زمان قديم. قلت لنفسي أظن أنها مسألة وقت قبل أن تعتاد أذني عليها.

أمضيت بعض الوقت متسكعاً في الشارع العام، ثم توغلت في أزقة المنطقة السكنية. راودني شعور غريب، لكني دافعته وقررت المضي في التجوال، ونسيت نفسي، فتوغلت داخل الحي. ثم... شيء ما ظهر من المجهول وراء ظهري ففاجأني من حيث لم أحتسب. في مثل لمح البرق هجم فقبض قفاي وأمسك برقبتي من الخلف ودفعني نحو الحائط، ملصقاً حديدة في صدغي الأيمن. تبينت أنها فوهة مسدس. سمعت همسه مثل فحيح أفعى مجلجلة:

- لا ... تلتفت!

لفظها مقطعة هكذا: لا... ثم توقف بضع ثوان قبل أن يتابع: تلتفت! كان يضغط بأسنانه على كل كلمة تفوه بها ليضفي على كلماته القوة والرهبة والصرامة. لم يكن محتاجاً لكل هذا، فقد كان مارداً عملاقاً لم أر في حياتي مثل طوله وجسمه وقوته. كنت بالنسبة له كريشة في مهب الريح تلعب بها كيفما شاءت. دفعني بقوة بيد واحدة نحو الحائط حتى ألزق جسدي كله بالجدار، مثل لوحة خشبية في معرض للفنون الجميلة. أحسست بقوة هذا المارد الذي لم يبذل أي عناء أو جهد ليفعل ذلك بي. رفعت يدي للأعلى شعار الاستسلام، ليعلم أنني لا أنوي المقاومة.

سارقت النظر لأسفل فلم أر سوى فردة حذائه الجلدي الضخم. كان متسخاً منفوخاً ومعفراً، وكأن هذا العملاق قد سلبه من أحد سكان الكهوف، أو محاربي (الفايكنج) الأقدمين، فقد كان أكبر من أي مقاس رأيته طوال حياتي.

جثا على ركبة واحدة، وبينما أبقى يده اليمنى مصوبة فوهة المسدس نحو صدغي الأيمن كانت يده اليسرى تفتش جيوبي. كان وهو جاثٍ على ركبته أطول مني وأنا واقف. أعرف أنني لست قصيراً، فطولي ستة أقدام وبوصتان. قلت لنفسي: إن هذا العملاق لا يحتاج للمسدس على أي حالٍ ليثبتني ويخيفني به، لكنه لو ضغط بإصبعه على الزناد في أي لحظة ولو بالخطأ أثناء انشغاله بالعبث في جيبي فسوف أكون في عداد الأموات. بقيت أترقب اللحظة التي تخترق فيها الرصاصة صدغي فيطير يافوخي متناثراً في الهواء. ومع أن ذلك لم يحدث فقد عشت أطول لحظات منذ ولادتي. رأيت فيها كل أيام حياتي واستعرضت أحداثها مثل شريط سينمائي أمام عيني: أمي، وأبي، وإخواني، وأصدقائي، وطفولتي، ولعبي، ويوم كنت أسبح مع الرفاق فكدت أغرق وأنقذوني، ولم أكن قد أتقنت السباحة يومها، ومطاردة الصبيان في الحي، ومعاقبة أبي لي يوم سرقت منه بضع ريالات على حين غفلة، وليلة ضبطني متلصصاً أحاول دخول البيت على حين غفلة بعد أن تأخرت في اللعب مع أصدقائي حتى

العاشرة ليلاً، والجري في الشارع لحظة نزول المطر، ومطاردة الكلاب الضالة، والأيام التي انقطعت فيها عن الصلاة، والقفز من سور المدرسة هرباً... سامحيني يا أمي. سامحني يا أبي. لم أكن أظن أن نهايتي ستكون بهذه الطريقة البائسة على يد لص مجهول في هذه البلاد القصية النائية في ليلة شتائية تضطرم أوصالي من بردها، وينخلع فؤادي من لصوصها، وتفجعني أحداثها المتسارعة.

دارت كل هذه الأفكار برأسي حين كان العملاق منهمكاً في تفتيش ملابسي. مرَّ راحة يده سريعاً على جنبي الأيسر فلم يعثر على شيء. أمسك المسدس بيده اليسرى وحَوَّلَه من صدغي الأيمن إلى الأيسر، بينما أدخل يده اليمنى في الجيب الأيمن لمعطفي، وسرعان ما عثر على ما كان يبحث عنه. لم يستغرق الأمر سوى ثوانٍ معدودات.

- لا تلتفت!

قالها مرة أخرى بعد أن حصل على محفظتي وبها كل النقود التي كانت معي. لم أكن أنوي الالتفات. فقد كنت مشغولاً عنه وعن محفظتي بمصيري ونهايتي في هذا المكان الغريب عن موطني البعيد، هناك عبر المحيط والبلدان والصحاري. بقيت هكذا لمدة من الوقت لا أعرف تقديرها ولا كم استغرقت، ربما دقيقة أو أكثر، مسنداً يديَّ العاريتين على ذلك الجدار البارد. أخذ العرق يتصبب من رقبتي، رغم أن البرد شديد

والوقت شتاء، وقلبي يدق وكأنه أيقن أنها دقات لحظة الوداع مترقباً لحظة انطلاق الرصاصة من ذلك المسدس ذي الفوهة الضخمة. فهذا العملاق قد يقتلني لمجرد التسلية بعدما سلبني نقودي. لكن تلاشى ثقل ضغطته على صدغي فجأة فلم أعد أشعر به. فجأة تذكرت أن جواز سفري كان في نفس الجيب مع محفظتي. والعملاق أفرغ جيبي من جميع محتوياته وأخذ كل شيء.

- أرجوك! فقط جواز السفر، أحتاجه. وخذ المحفظة وما فيها!

لم أعلم أن كان هذا اللص قد فهم كلامي فتجاهله، أم أنه لم يسمعه أصلاً، فقد خرجت الكلمات من حلقي حيث لم يسعفني لساني. حاولت أن أكلمه بتلك اللكنة الإنجليزية الغريبة التي سمعتهم يتحدثون بها منذ وطئت قدماي أرض المطار. لم يرد على رجائي فلم أسمعه يتكلم، لكني سمعت وقع خطواته مبتعداً، وصوت سقوط محفظتي حين قذف بها على الأرض بعد ما أفرغها من محتوياتها. لابد أنه سمع كلامي إذاً. فتحت عيني والتفت خلفي، فإذا بالعملاق قد اختفى. هرعت نحو محفظتي الفارغة فالتقطتها، ورأيت جواز السفر ملقى على الأرض قريباً منها.

كان كل شيء من حولي قد أخذته المفاجأة المرعبة. وكأن الحياة كلها توقفت لتشاهد هذا الذي يحدث. لقد كان الزقاق خالياً من المارة إلا من فتاة مراهقة كانت تقف بعيداً، لكنها رأت ما حدث.

انقضضتُ على جواز السفر فخطفته بلهفة كمن يخشى أن ينافسه شخص آخر عليه، ثم ضممته بيدي إلى صدري وهرولت عائداً إلى الفندق. كنت أتلفت خلفي بعد كل عدة خطوات أخطوها، وكنت أهرول سريعاً وأكاد أركض من فرط الخوف. وحين التفت خلفي لاحظت أن تلك الفتاة قد بدأت تتبعني، لكن يبدو أنها توقفت عندما رأتني أدلف داخل مبنى الفندق. حاولتُ إخفاء مشاعري عن موظف الاستقبال. لابد أنه رأى الرعب في عيني فقد لاحظ أنني لم أبادله التحية كعادتي حين كنت أمر به. صعدتُ إلى غرفتي وبقيت بها. لم أذهب لتناول العشاء في مطعم الفندق، ولم أخلد إلى النوم. رنَّ جرس الهاتف في غرفتي كثيراً فتجاهلته ولم أرفع السماعة. وبعد عدة دقائق سمعت طرقاً خفيفاً على باب غرفتي. ترددت قبل أن أفتح، فقد ظننت أن هذا العملاق هو الذي كان يلاحقني بالاتصال. قلت لنفسي: كيف سمحوا له بالدخول والصعود إلى غرفتي؟ فها هو الآن يطرق الباب ليأخذ ما بقي من متاعي وملابسي رغم أن هذا ليس ممكناً ولا منطقياً، فمن أين له أن يعرف أنني مقيم في هذه الغرفة؟ لكن ما حدث قبل لحظات جعلني أتوقع كل شيء في هذه البلاد.

نظرت من العين السحرية فكان الطارق هو موظف الاستقبال:

- آسف لتطفلي، ولكن هل أنت بخير؟

هدأ روعي قليلاً فقلت.

- أ. أ. أنا بخير. شكراً!
- هل تحتاج أي شيء؟ أي شيء إطلاقاً؟
- لا. شكراً. سأغادر غداً صباحاً.
- أعرف ولهذا سألتك، إن كنت تحتاج شيئاً. آسف لإزعاجك.

كان موظف الاستقبال لطيفاً معي، ويبدو أنه أدرك أنني واقع في مشكلة فقد كان الرعب الذي ارتسم على وجهي ينبئ عما رأيته خارج الفندق، ولهذا جاء يتفقدني. قلت له إنني لا أحتاج شيئاً، ولكنني في واقع الأمر كنت أحتاج لشيء لا أعرفه، ولأي شخص لأتحدث معه. لأي مخلوق يستمع لي، حتى أنفس عن غضبي المكبوت، وأنفث الهواء الحار الذي ملأ جوفي. كانت هناك مشكلة كبيرة، وهي أنني أصبحت الآن لا أملك أي نقود، فقد سلبني ذلك اللص كل ما أملك. لكنني كتمت الأمر في نفسي. أنا الآن في ورطة حقيقية ولا أعرف أحداً هنا. وبالطبع لن أتصل بصديقي (خليل) على أي حال لأخبره أنني فقدت أموالي فيظن بي الظنون، وهو الذي دفع بالأمس تكلفة إقامتي في الفندق شاملة الضيافة والوجبات وكل شيء. كنت في صراع بين كبريائي وورطتي. لكنني تذكرت أنه لم يترك رقم هاتف لأتصل به. ربما نسي في غمرة استعجاله للسفر.

لم تكن النقود هي المشكلة الوحيدة في ذلك اليوم، فهناك مشكلة أكبر. إنني لم أتعاف من الصدمة، فهذه الحادثة استهلكت روحي واستغرقت

عقلي وتفكيري وقلبي وهزت أعماقي. إنها حادثة لا تنسى ولا يمكنني تجاوزها أو تخطيها بأي حال من الأحوال. لا أستطيع أن أبقى في الفندق ليلة أخرى فأنا بلا مال. ولا بد أن أخلي الغرفة غداً قبل منتصف النهار. فماذا أفعل؟

قررت أن ألجأ إلى من يسمع ويرى ويعلم. فأشكو إليه حالي. لم أكن أعرف أين هي القِبْلة يوم قدومي إلى أمريكا، فبقيت أتوجه نحو مطلع الشمس في صلاتي، فالقبلة في ذلك الاتجاه شرقاً. صليت لله ليربط على قلبي المفزع. سألته الطمأنينة وتوسلت إليه أن يرد عليَّ يقيني في غد أفضل. غمرتني بَعضُ سَكينةٍ فاستغرقت في نوم عميق، وذلك قبل صلاة العشاء.

استيقظت فزعاً. وجدت أنني كنت نائماً على الأرض. وكان الليل قد انتصف. ظننت أن دقات الساعة المعلقة على الجدار هي التي أيقظتني. قلت لنفسي لماذا وضعوا في غرفتي ساعة تدق؟ فليس هذا مما اعتدنا عليه في الفنادق. ألم يعلموا أن دقات الساعة تزعج ساكن الغرفة؟ كان حرياً بهم وضع ساعة صامتة. أم أنني تخيلت ذلك؟ فالساعة صامتة فعلاً، ولم أسمعها تدق منذ نزولي بهذه الغرفة. يبدو أن ساعتي (البيولوجية) هي التي دقت فأيقظتني. ما زلت أحس بالوحشة والوحدة وعدم التركيز. صليت العشاء ثم الشفع والوتر. لم أعرف ماذا قرأت في صلاتي ولم

أخشع. حاولت العودة للفراش فلم أقدر. بقيت جاثياً على الأرض أفكر. ما الذي يدفع إنساناً – أي إنسان – أن يسلب أخاه ما يملك من نقود. إنه لا يعرف من أنا أو من أكون أو من أي الأصقاع أتيت، ولا يعلم من أين أتت هذه النقود ولا كيف أتت، وكم بذل صاحبها من جهد وعرق وتعب ووقت ليحصل عليها. إنها أموال اقتطعها صاحبي من مدخراته ليوفر لي مصاريف الإقامة في هذا الفندق، إضافة إلى ما وفرته من أموال طوال السنوات السابقة أثناء الدراسة بالجامعة، فقد كانوا يمنحوننا مكافأة أو مساعدة مالية شهرية. ثم كنت من ذوي الحظ العظيم حين حصلت على منحة للدراسة هنا في أمريكا على أي حال. إنني مجرد طالب فقير جاء من بلاد بعيدة نائية يبحث عن مستقبل مشرق. وهذا اللص الجبان يربض هناك في ركن قصي من الشارع، لا يهمه ما أنت أو من أنت، ولا من أين أتيت. لكنه يتربص بك ويتحين غفلتك ليأتي مخاتلاً فيسلبك مالك بعد أن يروعك بقوة السلاح. إنه يستمتع بمفاجأته لك وترويعك، ثم يذهب لينفق ما سلبه منك من مال، ينفقه على ملذاته، وهو لم يبذل فيه أي جهد أو تعب إلا الجهد الذي بذله لإخضاعك. هل هذا هو منطق القوة؟ أم كيف تقاس القوة؟ بالعضل المكتنز والساعد المفتول والجثث الضخمة؟ ربما لو شكا الجوع لأطعمته. ربما لو سألني بلطف أن أتصدق عليه لمنحته بضع دولارات عن نفس راضية، فقد اعتدنا فعل

ذلك في بلادنا دون منٍ ولا أذى. أما الآن وقد حدث ما حدث فنفسي تمور بالغيظ والغضب. لقد علم أنني لست من أهل هذه البلاد، وأنني وافد غريب. ربما عرف ذلك من مشيتي وتلفتي ونظري للبنايات مثل أهبل غبي. أو ربما رآني يوم وصلت مع صديقي خليل فبدأ يراقبني ويترصدني، حتى وجد فرصته فاغتنمها على حين غفلة مني.

أنا لست جباناً. ولم أكن كذلك في أي يوم من الأيام، لكنني في تلك اللحظات وقد أخذتني المفاجأة آثرت أن أفتدي نفسي بمالي، إذ التهور ليس شجاعة ولا بسالة في ذلك الموقف. لكن مشاعر الصدمة تحولت عندي الآن إلى موجات متتالية من الغضب الشديد. لقد أخذ مني ما هو أغلى عندي من المال، سلبني كرامتي وهدوئي النفسي الذي لازمني طوال سنوات عمري الماضية. سلبني الطمأنينة والسلام. لم يحدث لي أي شيء من هذا طوال سنوات الدراسة بجدة. لقد رأيت في باب مكة وسوق الندى وباب شريف أن أصحاب المحلات لا يغلقونها حين يذهبون للصلاة، ثم لا تحدث أي سرقات فالبلد أمان. إن ما حدث هنا قد جعلني قلقاً متوتراً ومتحفزاً للانتقام والثأر لنفسي.

لقد أيقظ هذا الحادث مارداً جباراً في أعماقي فتوترت جميع مسام جسدي وأعصابي وغلا الدم في عروقي. ورغم الصداع الذي أصابني إلا أن التحدي أخرجني من غرفتي إلى الشارع العام بعد منتصف الليل، أتفرس

في وجوه المارة باحثاً عن هذا اللص. لكنني لا أعرف كيف هو شكله ووجهه، فلم أتمكن من رؤيته أثناء الحادث. لو تعرفت عليه فلن ينال مني خيراً. يقولون إن المجرم لابد أن يعود إلى موضع جريمته أو يحوم حولها، يشده وخز الضمير والتأنيب الداخلي، أو ليتأكد أنهم لم يتعرفوا عليه لحظة ارتكابه الجريمة. الناس يعتقدون أن المجرمين قد فقدوا مثل هذا الشعور، لكني أؤكد لكم أن أعتى مجرم يوجد لديه وخز الضمير. قد يتقزَّم داخل قلبه، لكن أرومته وجذره باقٍ هناك. قد توقظه صحوة أو حادث أو صدمة مفاجئة، مثل موت قريب، أو مصاب حبيب. وقد يتضاءل ذلك في قلبه حتى يفنى فلا يبقى منه إلا الوحش. الحيوانات تتصرف وفق فطرتها، لكن المجرم مسخ تمرد على تلك الفطرة فجحدها وغطاها بالشرور والآثام، فانتكس قلبه منقلباً رأساً على عقب.

كانت الشوارع خالية من المارة، فلا أحد هناك. واللص قد اختفى بالغنيمة، والبرد شديد هنا في هذا المكان، فقررت العودة إلى غرفتي، إلا أن شيطاني المارد بقي مستيقظاً متحفزاً للعراك والصدام.

كان ذلك الموظف يراقبني في صمت حينما غادرت غرفتي عند منتصف الليل، ثم بقي يراقبني حينما عدت إليها مرة أخرى. لقد كانت عيناه تقولان كلاماً كثيراً، لكنه أبقى فمه مطبقاً فلم ينبس ببنت شفة.

في صباح اليوم التالي غادرت الغرفة حاملاً حقيبتي الصغيرة وفيها بعض

ملابسي، وجواز السفر وأوراق القبول والتسجيل للجامعة. كنت جائعاً فلم أتناول طعام العشاء بالأمس، ولم أتناول وجبة الإفطار المجانية صباح اليوم. لقد بحثت عن شهيتي للأكل فلم أعلم أين ذهبت. الجوع يعضني في كبدي لكنني لا أشتهي الأكل. أنهيت إقامتي في الفندق. لاحظت أن موظف الاستقبال كان يرمقني بإشفاقٍ أو فضول، ويتابعني بنظراته أينما سرت داخل ردهة الاستقبال، أو حين اقتربت منه لإنهاء إجراءات المغادرة، لكنني تعمدت ألا تلتقي أعيننا. كان حدسه ينبئه أن هناك خطباً ما، فقد رأى وجهي عند قدومي أول يوم. كان وجهاً ضاحكاً ممتلئاً حياة وحيوية وتطلعاً، وهو الآن يرى وجهاً آخر غير الذي رآه منذ يوم أو يومين. أنا شخص لا يعرف كيف يخفي مشاعره. فالفرح والحزن والغضب جميعها لوحات ترتسم على وجهي بجلاء ووضوح، كلما أحسست بأي منها. لقد كان الغضب الذي اجتاحني بسبب هذا الحادث كافياً لتنبيه كل من يطالعني أو ينظر إلى وجهي فيعلم أنني لست بخير.

سحبت حقيبتي الصغيرة خلفي وغادرت. ولم أعرف إلى أين أتجه. فلا مال عندي لأستقل سيارة الأجرة إلى المطار، بل لا أملك ثمن وجبة الإفطار، رغم الجوع الذي يعضني في كبدي. تحولت بين عشية وضحاها إلى ابن سبيل يستحق الصدقة. بقيت أحدث نفسي وأنا أتجول في الطريق على غير هدى. ظن المارة أني مشرد بلا مأوى. وتلك هي الحقيقة، غير

أنني لم أكن أحمل لافتة أو لوحة مثل تلك التي يحملها المشردون حين يقفون في تقاطعات الشوارع يستجدون النقود أو الطعام.

عندما وصلت نقطة التقاطع عند آخر الشارع التفت فجأة فرأيت تلك الفتاة التي شاهدت الحادثة ثم تبعتني بالأمس، رأيتها تخرج من المنعطف. أظنها كانت تراقبني من بعيد. ها هي الآن تتبعني بنظراتها وأنا أتوجه نحوها. وحين مررت بجوارها أومأَتْ بيدها ملوحةً بالتحية، لكني تجاهلتها ومضيت، فقد ظننتها متعاونة مع ذلك اللص الحقير، لكونها كانت حاضرة في موقع الجريمة لحظة وقوعها. إلا أنها تبعتني فسارت خلفي بضع خطوات وخاطبتني بلكنة لم أفهمها. ظننتها تتحدث بلغة غير الإنجليزية. لكنها ألحت في النداء ورفعت صوتها قليلا:

- أنت.. يا أنت. يا سيد! أنت بخير؟ You good?

ما هذه اللهجة الغريبة! التفت نحوها قائلاً:

- ماذا تريدين يا فتاة؟
- الشوارع هنا خطرة. وواضح أنك لست من سكان بروكلين هايتس لقد رأيت ما حدث لك بالأمس! فهل أنت سائح؟ خُذ هذه إذاً.

مدت يدها بورقة من فئة العشرين دولاراً. ولم تكن تنظر ناحيتي حتى لا تحرجني. كان هذا من أعجب ما رأيت. فتاة شابة تمنحني نقوداً؟ فلماذا تفعل هذا؟ هل تريد أن ترد لي بعض نقودي أو تكفر عن خطيئتها أو

فلنقل خطيئة ذلك العملاق؟ هل هذه خطة متفق عليها بين ذلك العملاق وهذه الفتاة؟ أحدهما يسلبني نقودي وأخرى ترد بعضها ليسكن بعض غضبي؟ لم آخذ تلك النقود لكني سألتها:

- لماذا تعطيني النقود؟ فأنا لست متسولاً!

- أعرف! رأيت ذلك الحيوان يأخذ محفظتك.

ما زال الشك يراودني في تصرفها هذا رغم أنها أطلقت عليه لفظ (حيوان).

- وأنت تريدين تعويضي؟

- ليس تماماً. إنها فقط ثمن وجبة.

- عجيب أمرك يا فتاة.

- اسمع يا سيد. إما أن تأخذ النقود أو سأذهب وأتركك في حال سبيلك!

كانت تتحدث بلكنة محلية غريبة تختصر فيها الكلمات وتكثر أثناء الكلام من تحريك يدها التي لا تحمل النقود، بينما بقيت تنظر في الناحية الأخرى، وقد ثبتت يدها التي تحمل النقود وأبقتها ممدودة صوبي. وكنت أجد صعوبة في فهم كلامها فهي تتحدث بسرعة فائقة. لاحظت أن مظهرها لا يشبه اللصوص ولا المشردين، فهي ترتدي ملابس غالية الثمن من المحلات الشهيرة، وفوقها معطف من الجلد الأحمر الثمين، وقد أرسلت

شعرها بطريقة تنم عن اهتمامها بصيحات الموضة وصرعاتها، بينما اكتفت بسلسلة رقيقة حول عنقها ولم تكن تلبس أي خواتم وقد وضعت في قدميها حذاء رياضياً.

- ما اسمك يا فتاة؟

أجفلت حين سألتها عن اسمها!

- لا أسماء فضلاً!

- وكيف أناديك إذاً؟

ترددت قليلاً ثم:

- (إيزيس). اسمي (إيزيس).

صمتت لحظة ثم أردفت:

- انتبه! فهذا اسمي الحقيقي! إياك أن تناديني به.

أدهشني ذلك! فهل لها اسم حقيقي وآخر مزيف؟ ولماذا وثقت بي فقررت فجأة أن تصارحني باسمها الحقيقي إن كان لها اسم مزيف؟ ولماذا كشفت عنه إن كانت لا تريدني أن أناديها به؟

- وهل لك اسم غير حقيقي؟

- (ذا هِتْ قيرل) (The hit girl) (القاتلة المحترفة)

- ما هذا الاسم الغريب؟

- سأخبرك لو وافقت أن تأخذ النقود.

عجبت من جرأة هذه الفتاة وطريقتها في الكلام واهتمامها بي، واسمها الغريب المريب، فمن هي حقاً؟ وماذا تريد مني؟ ولماذا تصر على التطفل والدخول في حياتي؟ كانت أسئلة محيرة لم أجد لها جواباً في تلك اللحظة الفاصلة، فترددت فيما سوف أفعله الآن. هل أذهب وأمضي في سبيلي وأواجه مصيري وأتركها أم ماذا أفعل؟ لقد كنت محتاجاً لأحد أشاركه مأساتي، وأفضي له بمكنوناتي حول ما حدث لي بالأمس، وهذه الفتاة مناسبة – رغم اسمها المخيف المرعب هذا – وذلك لأنها شهدت بعض ما حدث لي، إضافة إلى كونها بادرت بتقديم المساعدة. لكن الشك في حقيقة ما تريده مني ما يزال يراودني. تفحصتها فرأيت أن مظهرها لا يدل على أنها من فتيات الشوارع، أو أنها قاتلة محترفة. لم ألحظ شيئاً مريباً في ملبسها، سوى أن أحد حاجبيها به آثار جرح غائر. قلت لنفسي ربما أصيبت في حادث مروري، أو أنها سقطت على الرصيف.

لقد كان عليّ أن أتغلب على ترددي هذا وأتخذ قراراً حاسماً، فقد كنت بين أمرين، وكلٌ منهما قد يقرر مصيري، إما الانزلاق نحو الهاوية أو الصعود إلى بر الأمان. كانت لحظة فاصلة تغلب فيها فضولي على شكي، وجوعي على خوفي، فاقترحت عليها أن نذهب لنشتري بهذه النقود طعاماً، ثم نجلس على الأرض في ركن الشارع ونتحدث فوافقت. من الواضح أن هناك لغزاً وراء هذه الفتاة دفعها لهذا التصرف ولابد أن أعلمه، فاسمها

غريب وتصرفها معي مريب وعجيب. لقد كان بمقدورها أن تنصرف لحال سبيلها عندما اعتذرتُ عن قبول نقودها رغم حاجتي الشديدة، لكنها قبلت اقتراحي بتناول الطعام وآثرت أن ترافقني. وفي الطريق إلى عربة الطعام خطرت لي خاطرة فسألتها:

- من أين أتيت بالنقود فمن الواضح أنك طالبة؟
- أنت تثرثر كثيراً يا سيد. نحن هنا لا نفعل ذلك.
- أنتم؟ من أنتم؟

تجاهلتْ تساؤلاتي وواصلَتْ الحديث قائلة:

- ذلك الحيوان لا ينتمي إلينا وسوف ينال جزاءه. أنا حاولت مساعدتك لأنك في 718 وهو متعدٍ عليها!
- نحن؟ أنتم؟ 718؟ اسمعي يا فتاة. إما أن تتحدثي معي بصراحة أو تذهبي في حال سبيلك فعندي ما يكفيني من الهموم والمشكلات.

قالت وهي تنظر إلى الأرض:

- أعلم!

رأيت ابتسامة تضيء وجهها فشجعني ذلك على أن استمر معها في الحوار.

- تعلمين ماذا؟
- أعلم أنك واقع في ورطة فليس معك نقود وأنت لست من ٧١٨. هل أنا مخطئة؟

- ماذا تقصدين بقولك ٧١٨؟
- حسناً سأخبرك. ٧١٨ هو رمز منطقة بروكلين ونحن نطلق عليها أيضاً (بَك تاون Bucktown) أو مدينة النقود
- فعلاً أنا لست من هذه المدينة
- انتبه أيضاً فعندما نقول (المدينة) فإننا نقصد مانهاتن تحديداً!
- كم عمرك يا ذا هِتْ؟
- ثمانية عشر.
- وأين منزلكم؟
- لا أملك واحداً!
- عجيب هذا. ليس عندك منزل وترتدين كل هذه الملابس الفاخرة؟ هل أنت مشردة حقاً؟ أين تسكنين إذا؟
- هنا!

وأشارت إلى شجرة قريبة. وحين نظرت حيث أشارت رأيت مظلة من الورق المقوى المستند على أعواد من أغصان الشجر اليابس تحت تلك الشجرة في أحد أركان الشارع.

- هنا؟ إذاً أين هي عائلتك؟ أبوك؟ وأمك. أنت في سن المراهقة يا فتاة! ستموتين من البرد في هذا الشتاء الصعب لو بقيت هنا.

صمتت برهة ثم قالت وهي تنظر إلى الأرض.

- أمي في السجن!
- ياللهول! وأبوك؟
- قُتل هنا في الشارع منذ عامين!

وضعتُ يديَّ على رأسي من هول ما سمعت.

- هذا أمر فظيع.. هل تذهبين إلى المدرسة؟
- أحياناً...!

استمرت تنظر إلى الأرض ولم تنظر في عيني، فبدأت أشك في مصداقية ما تقول، فالكذاب يحاول أن يخفي عينيه ولا ينظر إليك مباشرة لئلا تكتشف كذبه.

- من أين تأكلين؟ ومن الذي ينفق عليك؟ ومن أين تكسبين النقود؟ وكيف حصلت على العشرين دولاراً؟

أدركت أن مأساتي لا تساوي شيئاً بالنظر إلى مأساة هذه الفتاة إن كان ما حدثتني به هو الحقيقة.

❊❊❊

إيزيس

حين راودني الشك فيما تقول قلت لها:

- حدثيني عن نفسك قليلاً يا (ذا هِتْ)!

قالت:

- أنا عاهرة بنت عاهرة. أنا وحش مجنون! حين أنجبتني أمي حطمتُ فرجها حتى لا تنجب بعدي. نزلت من بطن أمي أحمل مسدساً. وعندما بدأت أتكلم تحدثت باللعنات والسباب، وعندما تعلمت المشي انضممت إلى عصابة. عليك أن تهرب مني فوراً إن كنت تريد السلامة أو تخشى على نفسك.

صدمتني هذه الكلمات حقاً فلم أتوقعها من بنت في الثامنة عشرة على الإطلاق، بل ولا حتى من الأولاد الذكور! قلت لنفسي هذه فتاة بذيئة تستخدم ألفاظاً لم أعتد سماعها من أي فتاة من قبل. عليك أن تتركها بسرعة وتنجو بنفسك. توجد هوة واسعة بين مظهرها ومخبرها، ففي حين تلبس أفخر الملابس، إلا أن لسانها قذر ينم عن أخلاقها. ولكن في الوقت نفسه لها قلب رحيم يساعد المحتاجين ويمنحهم النقود. ما هذا التناقض!

قلت لها:

- عيب عليك. لا تتحدثي هكذا فأنت بنت!

ضحكت بصوت عال وقالت:

- أنت ولد ساذج غبي. واضح جداً أنك لست من هنا!
- بالطبع أنا جديد على هذه البلاد. لم يمض على وصولي غير يومين! هل تعرفين المملكة العربية السعودية؟

رأيت بريقاً في عينيها حين أخبرتها أنني قادم من وراء البحار. لا بد أنني كسبت ثقتها فيبدو أنها لا تثق في أبناء جلدتها.

- بالفعل. فقد رأيتك حين أخذت جواز السفر من الأرض ثم هربت به! إنه جواز غريب أخضر اللون!

قالت هذا وأطلقت ضحكة مدوية. دار بيننا حديث مطول. أخبرتني فيه بحقيقتها وأفضت لي بمكنوناتها. إنها فتاة غاضبة من كل شيء حولها. لا بد أنها غاضبة من أمها وأبيها ومن زملائها وزميلاتها، ومن المجتمع ومن المدرسة والمعلمين وكل أحد، أو أنها مضطربة، أو تعاني من مرض نفسي. والدليل هو هذا الفصام بين كلامها ومظهرها وسلوكها.

لكننا بعدما تحاورنا قليلاً صارحتني بكل شيء فصدمتني بكل كلمة قالتها! فقد أخبرتني أنها تنتمي لمنظمة تسمى (ديسيبتيكون)، أي المحاربين المخادعين، الذين هم عصابة مكونة من مجموعة من الأولاد

والبنات، وجميعهم من طلاب المدارس الثانوية، وهم في مثل سنها، لكنهم يحكمون بروكلين كلها، ويسيطرون عليها، أو هكذا زعمت. كنت قد شاهدت مسلسلاً أسطورياً في التلفاز يحكي أن (ديسيبتيكون) هم فصيل ممن يطلق عليهم المتحولون (Transformers) الذين يقومون بغزو (سايبرترون)، ويهزمون (الأوتوبوت)، ويكتسبون الطاقة الجبارة، ويطورون الأسلحة القوية، ويمارسون ضرب الآخرين من الناس في الطرقات. لقد كان مسلسلاً بالرسوم المتحركة التي تستهوي الأطفال والمراهقين.

بالطبع لم أصدقها، وظننت كلامها هذا ضرباً من الجنون والخبل يضاف لبذاءتها وقلة أدبها. قلت لنفسي لا بد من مغادرة هذا المكان على وجه السرعة، بعد الفراغ من تناول الوجبة، فذكوره لصوص وإناثه فواسق، ومراهقوه غارقون في الخيال المجنون وعالم الأساطير. وإن كانت أمريكا كلها كذلك فقد أوقعت نفسي في ورطة كبيرة باختيار هذا البلد للدراسة أصلاً. هذا غير ما كنت أتوقعه من كون أمريكا هي بلد العلم والحضارة.

قلت لها:

- بالطبع أنت تمزحين أو ترغبين في تخويفي!

قالت:

- كلا.. إطلاقاً. فأنا أقول الحقيقة وأعني كل كلمة قلتها لك.

قالت إنهم مجموعة من الشباب والشابات يمضون وقتهم بعد انتهاء ساعات المدرسة في التسكع بمنطقة قطارات الأنفاق، وزوايا الشوارع، وممرات الأزقة والحواري، وأنهم يفعلون ما يحلو لهم، ويستمتعون بذلك. قالت لي إنها هي الزعيمة هنا في هذه المنطقة! ولكونها زعيمة المحاربين بمنطقة بروكلين فهي لن تسمح أن يمر ما حدث لي دون عقاب لذلك اللص المتسلل الدخيل! قالت لي إنهم مشهورون بالهجمات الشرسة وسرقة الأشخاص الأبرياء العاديين مثلي. وأنني كنت سأكون ضحيتهم أيضاً، لولا أنني وقعت ضحية ذلك اللص الذي سبقهم لسرقتي، وقد أتى من منطقة أخرى، وتعدى على مملكتهم، وبذلك الفعل تسبب في أن أكون حليفاً لهم، بدلاً عن كوني ضحية. وأنهم سوف يبحثون عن ذلك اللص فيلقنونه درساً لن ينساه. قالت لي إنها لم تر ذلك اللص من قبل في المنطقة فمن الواضح أنه دخيل. بل ويجرؤ على ممارسة النهب والسرقة أمام زعيمة العصابة، فهذه تعتبر قمة الوقاحة والتحقير لها. لكنني ما زلت أظنها تمزح أو ترغب في أن تخيفني. ورغم ذلك فقد دفعني الفضول للاستماع لقصتها حتى النهاية. ثم قلت لها:

- هل يمكنني قضاء بعض الوقت معكم والتعرف عليكم إن كنت حقاً زعيمة العصابة؟

قالت:

- بكل تأكيد هذا إذا قبلك بقية الأعضاء فأنت في مثل أعمارنا تقريباً أو أكبر قليلاً. وفارق السن غير مهم. المهم هو أنك لست غواصة.
- ماذا تقصدين بقولك غواصة؟
- مرشداً للشرطة أو لعصابة أخرى!

فتحت حقيبتي وأخرجت كعب التذكرة التي كنت أحتفظ بها داخل جواز السفر وأريتها الجواز أيضاً لتصدقني فاطمأنت أنني بالفعل جديد على بروكلين وعلى أمريكا كلها.

لا أعرف لماذا وثقت بي فأخبرتني أنها زعيمة مجموعتها وأنها سوف تتحدث مع بقية الأعضاء ليستضيفوني يوماً أو يومين، وأنهم يسمعون كلامها ويطيعونها وأن الجميع يحبها. ما زلت أشك أن في الأمر شيئاً.

قالت لي:

- اسمع يا.. ما اسمك بالمناسبة؟
- (أوم)!

كان اسماً اخترعته للتو وهو اختصار لاسمي حين تنطقه بالإنجليزية!

- اسمع يا (أوم). إن هناك شروطاً مهمة يجب أن تعرفها قبل أن نستضيفك!
- ما هي؟
- أنك ستحفظ الأسرار، وتنفذ جميع ما نأمرك به طوال فترة بقائك

معنا. سوف تصحبنا لفترة قصيرة حتى تتمكن من استرداد نقودك. وبعدها تمضي لحال سبيلك. وبالمناسبة سوف يقومون باختبارك قبل أن يوافقوا على تواجدك معهم. وبالطبع لن تكون عضواً دائماً، فالعضوية لها شروط كثيرة لا تنطبق عليك. أنت ستكون مجرد ضيف، إلى أن نقرر جدارتك بالانتماء إلينا. يجب أن تعلم أن الانتماء إلى عصابة في بروكلين ليس مزحة. فالعضوية تتطلب بداية قوية وإثباتًا متكررًا أنه يمكنك العيش وفقًا لقواعدنا.

- وما هي قواعدكم؟
- للانضمام إلينا، يجب عليك ارتداء الألوان المناسبة، وتعلم إشارات اليد لكتابة الحروف في الهواء باستخدام الأصابع، وعليك أيضاً إتقان لهجة التحدث باللغة الصحيحة التي يفهمها أفراد العصابة. إن لدينا مصطلحاتنا الخاصة التي نستخدمها وهي ملكية خاصة، نستخدمها بشكل يومي في اتصالاتنا حتى لا تتسرب أسرارنا.
- وبالمقابل ما الذي سأحصل عليه لو قبلت هذه الشروط؟
- أولاً سنرد إليك مالك الذي فقدته. وسوف ترى أننا سنؤدب ذلك الحيوان الذي قام بسرقتك وتعدى على خصوصية منطقتنا، أو سنسلمه إليك موثقاً من يديه وقدميه لتفعل به ما تشاء. هذا طبعاً إذا رغبت الانتقام منه.

- لا.. لا أحب الانتقام. فقط أريد المال فأنا أحتاجه. وكيف سيختبرني أعضاء المنظمة؟

- ستعرف ذلك في وقته.

في واقع الأمر كنت أحتاج المال، فأنا الآن لا أملك دولاراً واحداً في جيبي. ولكن لم يكن ذلك هو السبب الأوحد لقبول التحدي بمصاحبة هؤلاء المشردين أبناء الشوارع، فقد أشعلت هذه الفتاة في جوانحي رغبة قوية للتعرف على هذا العالم الغريب عالم المحاربين، وكذلك لأتمكن من رد الصاع صاعين لمن أهانني وأذلني فسلبني مالي بقوة السلاح. لقد كان شيطاني حاضراً ومستحوذاً على عقلي وتفكيري، فكلما حدثتني نفسي بالتعقل وسوس لي بالمضي قدماً مع هذه الفتاة حتى نهاية المغامرة، وبذا ألغيت عقلي وتبعت وسواسي.

أمضينا اليوم كله نتحدث. وسرعان ما اكتشفت أنها كذبت بشأن أمها وأبيها وبشأن كونها متشردة. كانت فقط تريد أن تطمئن إلي وتثق بي قبل أن تفضي لي بمكنوناتها وقصتها الحقيقية. علمت أنها تتخذ من تلك المظلة التي تحت الشجرة مقراً تمارس منه زعامة العصابة. لكنه ليس منزلها أو مسكنها. قلت لها:

- كيف بدأ هذا معك؟ أعني الانتماء لعصابة؟

قالت:

- كان ذلك منذ أربع سنوات. فقد كنت في الرابعة عشرة من عمري عندما شاهدت العنف المفرط لأول مرة في حياتي. في إحدى الحفلات، تقدم هذا الرجل وبصق في وجه شخص آخر ثم لكمه. لقد شعرت بالرهبة من أن شخصًا ما يمكن أن يكون بهذه الوقاحة دون أن تطرف له عين. ورغم كل الأسلحة وحوادث إطلاق النار التي رأيتها لاحقًا، إلا أن ذلك الحادث الأول بقي عالقاً في ذهني حقًا. لقد حوّلني إلى وحش يستطيع أن يفعل كل شيء يصدم به الناس ويجعلهم يخافون منه. هناك عنف في كل مكان، وحتى في المدرسة الثانوية، إلا أن تأثيره عليَّ لم يكن بنفس قوة تأثير ذلك الحادث الذي رأيته في ذلك الحفل اللعين. كان بقائي على قيد الحياة يعتمد على السماح للناس بمعرفة أنني لن أكون فتاة سهلة، أو عاهرة، أو فاسقة. كان هناك الكثير من المجموعات في المنظمة. جاءت مجموعتي في الغالب من خلفيات ذات والد واحد، أب منفصل أو أم عازبة. كنا مجموعة أشخاص فقراء جدًا، فشعرنا بالعجز، ولا أحد يستمع حقًا إلى معاناتنا. اجتمعنا معًا لحماية ظهر بعضنا البعض لأن مجموعة من الفتيات السيئات كن يتنمرن على الجميع في المدرسة. وفي غضون بضعة أشهر انتقلنا من مجرد محاولة حماية أنفسنا إلى البحث عن المشكلات والمتاعب فكوّناً عصابة

البنات المحاربات، (ديسيبتينيت)، وذلك على غرار مجموعة المحاربين الذكور (ديسيبتيكون).

قلت لنفسي بينما كانت تحدثني وتحكي لي عن حياتها: عجباً! إنها لا تعتبر نفسها من الفاسقات، فإن كان ذلك كذلك فيا ترى كيف هن هؤلاء الفاسقات؟ سألتها:

- هل مارست العنف في حياتك؟

قالت:

- كثيراً! أول عمل عنيف لي كان في أحد أيام أعياد (الهالوين). وأنت تعلم أنه في هذا العيد يرتدي الناس الأزياء الغريبة ويشعلون النيران لدرء الأشباح، بينما يتنقل الأطفال في شوارع الحي من باب إلى باب لطلب الحلوى، في تقليد يسمى "خدعة أم حلوى" فإذا منحتهم الحلوى قاموا بشكرك ثم تركوك وشأنك.
- وإن لم أفعل؟
- إن لم تفعل مارسوا تجاهك أي نوع من أنواع خداع الأطفال. وقد يلحقون بك الأذى. المهم في الأمر أن ذلك كان منذ ثلاثة أو أربعة أعوام، فقد كنت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمري. كنت ومعي بعض الفتيات نركب القطارات مع مجموعة من الأولاد الذين يهجمون على الركاب فيسرقونهم أو يسلبون ممتلكاتهم. وكنت أظن

ذلك نوعاً من خداع الهالوين، ولم أكن أعرف أن هذه هي منظمة المحاربين. وتزايدت المجموعة حتى أصبح هناك أكثر من ثلاثين أو أربعين مراهقاً يركضون عبر قطار الأنفاق لبث الذعر وسط الركاب. كل من نجده في طريقنا يتعرض للدهس أو الضرب أو السرقة، ثم تحول الأمر إلى عنف مفرط، فخرج عن نطاق السيطرة تمامًا. وأنا شاركت في هذه الأعمال حين رأيت هؤلاء الشباب يمارسون العنف في القطار، فشعرت بالزهو ونشوة الانتصار. الشعور بأنك قوي كان يعوض شعورنا بالدونية لكوننا فقراء، وكان يعوض فترة تعرضنا للتنمر من قبل الفتيات الكبيرات في المدرسة.

- هل أنت فقيرة فعلاً؟ فأنت الآن تلبسين أفخر الثياب.
- مهلاً لا تتعجل فسوف أخبرك بكل شيء، وكيف ومن أين أتيت بهذه الثياب! المهم أتذكر أنني في ذلك الهجوم قمت بانتزاع سلسلة ذهبية من عنق امرأة مسنة، وهربت بها، لكنني لم أشعر كما لو كنت أنا من فعل ذلك، لأنني لم أعد شخصاً أو إنساناً بعد ذلك اليوم. لقد فقدت إنسانيتي بذلك الفعل، فأصبحت جزءًا من هذا الجمع الغوغائي الكبير المجرد من المشاعر. كنت مثل كلب شرس انطلق من سلسلته وقيده فأصبح مطلق السراح، يعدو في الشارع فيعض كل من يقابله، وكل من ينظر ناحيته. ثم اعتدنا على ذلك الفعل القبيح، فأصبحنا

نمارسه بصورة متكررة ونلتذ بفعله، ولا نحس بأي نوع من الذنب أو تأنيب الضمير، بل بالعكس، كنا نشعر بالتسلية ونشوة الانتصار في كل مرة. وأصيب الناس بالرعب منا، لكنهم فهموا ذلك فأخذوا يهتمون بشؤونهم الخاصة، ويأملون ألا يكونوا ضحايانا الذين يلقي بهم حظهم السيء في وجوهنا، أو نلاحقهم حين نصعد على متن القطار. ولذلك يبقون هادئين، ولا ينظرون ناحيتنا، ويحاولون المحافظة على ممتلكاتهم أو يخفونها عن أعيننا.

- أنت في قرارة نفسك الآن تعلمين أن هذا خطأ كبير فلماذا تمارسينه إذاً؟
- إنه أمر ممتع حقاً عندما تجربه. لقد كانت دقات قلبي تتسارع كلما شرعت في تنفيذ هجمة من الهجمات. لقد كنت أشعر باندفاع الأدرينالين في شرايين وفي كل جسمي. كان الأمر أشبه بأن تكون في قمة عاطفية حقيقية حيث يمكنك أن تفعل ما تريد، ولا يهم ما سوف يحدث لك بعد ذلك. إنها تجربة متوحشة بالكامل. معظم الناس لا يختبرون ذلك – القدرة على أن تكون متوحشًا تمامًا، وأن تفعل أشياء خاطئة حقًا، ثم تفلت من العقاب – لم أكن خائفة على الإطلاق من أن يتم القبض عليّ. فمنذ أول مرة هجمت فيها على القطارات شعرت حقًا بالقوة، وأنني لا أقهر. لقد كان شعورًا جيدًا حقًا.

شعوراً غامراً وكأنك تملك الكون كله، وأنك أقوى سلطة، وحتى الشرطة لا تستطيع أن تطالك أو تنال منك. كما أنني رأيت أن لدي القدرة على أن أكون الأفضل في سرقة الناس والاعتداء عليهم بضربهم وأخذ ممتلكاتهم.

المهم أنني عدت إلى المنزل تلك الليلة الأولى التي نفذنا فيها الإغارة على القطار، وفي يدي خواتم وسلاسل سلبتها من النساء. وحين وصلت البيت وضعتها على سريري ونظرت إليها، ثم ارتديتها. كانت تلك المجوهرات قد أخذتها من عدة نساء لم تستطع أي واحدة منهن مقاومتي حين سلبتها منهن. ثم بقيت أرتديها لفترة، لكني تخليت عنها بعد أن مللت ارتداءها وأصبحت عادية، فقد تلاشى الشعور بنشوة الانتصار أو الاستحواذ على تلك الحلي. حين كنت ألبسها وأتجول بها في القطارات والشوارع لم أكن أخاف أن تتعرف عليها النسوة اللاتي سلبتها منهن، فلم يكن أحد يجرؤ أن يشير إليَّ بأصبعه ويقول هذه حليتي، حتى لا يتعرض للأذى.

وحينما رأت بقية الفتيات ما أقوم به انضممن إليَّ فأصبحت مجموعتي رسميًا منظمة المحاربات. وبعد ذلك انضممنا إلى هؤلاء الأولاد، المحاربين.

- ما هي قصة هذه الأسماء الغريبة: (ديسيبتيكون) و(ديسيبتينيت)؟

- لقد كنا نقلد الأشرار في فيلم (المتحولون) (ترانسفورمرز)، وهو كما تعلم فيلم بالرسوم المتحركة التي تحكي قصة الروبوتات المحاربة التي تستطيع أن تغير وجوهها ومظهرها. ما زلت أذكر جلوسنا في غرفة زعيم عصابة المحاربين، وضحكنا ونحن نختار الشخصيات التي نمثلها. لقد اختار كل منا شخصية من شخصيات ذلك الفيلم واعتقدنا أننا مهمون حقًا. اللعنة على هذه الأفلام الغبية. كنا نضع أقنعة على وجوهنا قبل أن نشن الإغارة على القطارات وفي أحيان كثيرة كنا نكشف عن شخصياتنا ووجوهنا ولا نبالي. ثم نمت عائلة المحاربات بعد أن كانت مكونة من حوالي عشر فتيات لتصبح مكونة من أربعين أو خمسين فتاة. الآن هناك بضع مئات من المحاربين، معظمهم من الأولاد الذكور، في المدارس في جميع أنحاء المدينة. لكن معظمهم في مدرسة بروكلين التقنية.
- وما هو سر الاسم: (ذا هت جيرل) أو الفتاة القاتلة المحترفة؟
- لصقل مهاراتنا القتالية، ابتكرنا لعبة تسمى (الضربة الواحدة القاضية). كنا نختار أشخاصًا بصورة عشوائية عند مغادرتهم محطة القطار - ومعظمهم من طلاب المدارس الثانوية - ونحاول فقط القضاء عليهم بضربة واحدة تطيح بهم إلى الأرض فاقدي الوعي، فنفاجئهم بها حين لا يكونون منتبهين ولا مستعدين. ولا نعرف أبدًا

ما إذا كانوا سيدافعون عن أنفسهم أو لا. فإذا فعلوا سحبنا مسدسًا عليهم فيهربون أو يستسلمون. لقد ضربتُ الأولاد والبنات. لم يكن الأمر مهمًا حقًا. كانت الفتاة الأولى التي ضربتها ضخمة، ولكن مع السخرية منها وتحقيرها بواسطة العصابة وتشجيعهم لي والهتاف أثناء نشوب العراك الذي دار بيننا، أقدمت على ذلك الفعل. لا أعرف مدى سوء ذلك. لقد آذيتها فقد أغمي عليها من هول الضربة. لقد استخدمت قبضتي فقط. أنا مشهورة بقدرتي على ضرب الناس والإطاحة بهم أرضاً من أول لكمة، وهذا ما جعلني سعيدة. أردت أن أكون أفضل فتاة مقاتلة في بروكلين وهذا ما حدث فعلاً، ولهذا حملت هذا اللقب وأستحقه عن جدارة.

- أنت قاسية القلب!
- فعلاً؟ شكراً لك فهذا يسعدني. أصبحت قاسية القلب بعدما تكررت هجماتي. وبعدما أضرب شخصاً نضحك عليه ونسخر منه ونقوم بإذلاله، ثم نذهب في حال سبيلنا. أصبح الناس بالنسبة لنا مجرد أشياء أو أدوات للسخرية منهم وسلب أموالهم. لم أشعر بأي مشاعر تجاههم. أستطيع رؤية شخص ما يبكي أو ينزف ولا أتأثر بذلك البتة. لقد أصبحت بلا قلب فعلاً يا (أوم) ويسعدني هذا.

خلال عامين فقط من نشاطنا المكثف أصبح الجميع يعرف عصابتنا،

ولكن كانت هناك مجموعات أخرى في المدرسة. ليست عصابات، ولكنها مجموعات تبيع المخدرات، وأخرى تبيع الأسلحة، وثالثة تتعاطى المخدرات الثقيلة. البعض منا يحبون القتال بالأيدي حقًا، وآخرون يحبون استخدام الأسلحة أو قبضة اليد النحاسية. ولكل شخص سلاحه الخاص. تتراوح أعمار مجموعتي بين الرابعة عشر والسابعة عشر عامًا. كنا نشن الكثير من المعارك في المدرسة. ونتقاتل ونتعارك بقبضة اليد أو بالسكاكين أو الأسلحة الأخرى، ولكن في الغالب نقاتل بشكل عادل ونزيه!

- أنت قاصة ماهرة. لقد شوقتني للتعرف على كل هذا. لا أصدق أنك تقولين الحقيقة.
- سوف نأخذك معنا يا (أوم) إلى الحفلات الشاطئية والنزهات في الحديقة لترى بنفسك وتصدق ما أقوله. سوف تذهب معي إلى منتزه (جريت ادفنشرز Great Adventures) الترفيهي. أنا أعتبر نفسي طفلة حتى الآن، ولهذا أذهب إلى ذلك المكان، فأنا أحب اللعب وقضاء الأوقات الممتعة. عندي أخوات شقيقات أصحبهن معي على الرغم من أنهن لسن عضوات في المنظمة. الأمر هو أننا مجرد مجموعة تحب الاستمتاع بالحياة. فنحن نمارس أعمالاً ذات توجه عائلي واجتماعي. لقد شاركنا في مسيرة مناصرة المصابين بالإيدز

وغيرها من المسيرات الخيرية. وفي الليل، نقيم حفلات على الشاطئ فنشوي ونشرب ونثمل ونرقص ونغني.

- ما هذا التناقض؟ عصابة للخطف، والسرقة، ثم تناصر المصابين والمظلومين والمرضى! مظهرك لا يدل على أنك عضو في عصابة فأنت ترتدين ملابس غالية الثمن وأنيقة!
- نحن الفتيات نحب أن نرتدي ملابس جميلة ونفخر بحقيقة أنك لن تعرف أبدًا أننا أعضاء في منظمة. إذا أردنا أن نتسخ ونتعارك، نرتدي ملابس كاجوال غير رسمية، فنرتدي الجينز الواسع، والمعاطف الجلدية كبيرة الحجم، أو معاطف رالف لورين، أو بولو، وهي أحدث صيحات الموضة، ولكن في مظهرنا فنحن مهذبات للغاية، لدرجة أن الناس يتساءلون كيف انضمت هؤلاء الفتيات المهذبات إلى منظمة متوحشة.
- ها ها. أنت منذ ساعة تلفظت بألفاظ لم أسمع مثلها في حياتي.
- لعلمك أنا لا أستخدمها كثيراً، ولكن حين أكون غاضبة أتفوه بها فأحس بالراحة. وحين قلتها لك أردت فقط أن أصدمك لأهيئك، فسوف تسمع الكثير منها من أفراد العصابة، وحتى من الفتيات. ألتمس لك العذر يا (أوم) لكونك لم تطلع على دواخلي وبذا لن تعرف حقيقتي. لكننا في الواقع أشخاص غاضبون جداً، وبحاجة

إلى القتال والسباب للتنفيس عن هذا الغضب. ولو لم نخرجه ونتخلص منه بهذه الطريقة لتأذينا بكتمه في أنفسنا. المسدسات ليست هي سلاحنا المفضل أبدًا. نحن – فتيات عصابة المحاربات – معروفات بحمل مضارب البيسبول والمطارق. نخبئها ثم نخرجها من داخل أكمام قمصاننا أو سواعدنا أو أسفل سراويلنا عندما نستعد لقتال مجموعة أخرى.

- وهل تأذيت من القتال والعراك؟ هل أصبت أو جرحت؟
- بالتأكيد. لقد تم القفز عليّ عدة مرات.
- ماذا تقصدين بالقفز عليك؟
- القفز عليك هو أن تجتمع مجموعة من الأولاد أو البنات من العصابة فيهجمون عليك كلهم دفعة واحدة، وعليك أن تدافع عن نفسك. وللقفز شروط، إذ يجب أن يكون خلال واحد وثلاثين ثانية فقط، يحاولون فيها جرحك بمشرط وضربك، وعليك أن تدافع عن نفسك فتصمد طوال هذه المدة ولا تهاجم أبداً. فإذا خرجت منها سالماً فأنت بطل عصابة حقيقي، وبالمناسبة هذا هو أحد شروط انضمامك للعصابة معنا، فهو بمثابة اختبار لقدرتك على التحمل والدفاع عن النفس، وعليك أن تنجح فيه وإلا فلن يقبلونك.
- وماذا حدث حين قفزوا عليك؟

- جُرحت بمشرط فوق عيني. وعندما يحدث ذلك، بالطبع تتسارع الأفكار وتتساءل عما إذا كنت ستخرج من ذلك المأزق حياً، لكن صديقي (جالفاترون) قفز وأنقذني منهم. وفي مرة أخرى حين قاتلت تلك الفتاة الضخمة قاومتني بقوة وشراسة، لكنها نالت العبء الأكبر من الأذى، حيث قطع المشرط يدها مباشرة، وجرحت في جبيني فتدخل صديقي وحملني إلى المستشفى. وحين سألونا في المستشفى عما حدث لنا كذبنا عليهم فأخبرناهم أنني سقطت من الرصيف. انظر إلى المنطقة التي فوق عيني فستجد أثر خمس غرز شوهت وجهي، وبالطبع لم أكن أملك ثمن جراحة التجميل. لقد عززت هذه الحادثة اعتقادي بأن هؤلاء الذين دافعوا عني وحملوني إلى المستشفى هم الرجال الذين أحتاج أن أكون معهم. لقد أحببتهم بالتأكيد. وسوف أبقى معهم فنحن نعمل معاً كل يوم. كسر هذا الارتباط بهم هو التحدي الأكبر، فالمنظمة مثل العائلة لا يمكنك أن تفك ارتباطك بها وذلك مدى الحياة.
- وهل زعيم المنظمة هو صديقك أو حبيبك؟
- لعلك تقصد ممارسة الجنس معه؟ يسأل الناس دائمًا عن الجنس. لم أنم مع (جالفاترون) أبدًا، وبالمناسبة هذا هو لقبه في المنظمة. ولكن بعض الفتيات كان لديهن تقدير منخفض للذات لدرجة أنهن نمن

مع بعض أفراد المنظمة مقابل الحماية. إذا مارست الجنس مع أفراد عصابتنا، فلن تحظ بالاحترام أبدًا. لم تتعرض أي فتاة منا لمحاولة الاغتصاب أو التحرش بواسطة أفراد المنظمة إلا من أجل التأكد أنه عليها أن تثبت أنها تعرف القتال، فيهاجمونها ويقفزون عليها لتدافع عن نفسها. فإذا فعلت ذلك كفوا عنها.

- هل هناك سُمرٌ بينكم في المنظمة؟
- بالتأكيد! معظمنا من ذوي البشرة السمراء. وأنا بيضاء كما ترى، ولكن هناك الملونون أيضاً، فهناك بنات من أمريكا اللاتينية، وهناك مكسيكيون وهناك البيض أيضاً في منظمة المحاربين. وطالما كنت مفيدًا، فنحن نرحب بك معنا واللون غير مهم، بل إن تعدد الألوان والثقافات مفيد للمنظمة.
- هل تتعاطون المخدرات؟
- بالنسبة لي؟ لا أتعاطى المخدرات الثقيلة أبدًا. في بعض الأحيان أشرب وأدخن الحشيش، ولكن ليس كثيرًا لأننا نعتبر أنفسنا جنودًا والجنود لا يثملون ويقاتلون في الوقت نفسه. عليك أن تكون ذا عقل مستيقظ في جميع الأوقات، إن أردت أن تكون عضو عصابة ناجح ومفيد. نحن فقط ضد العالم ونحن فقط غاضبون من المجتمع.
- هل لي أن أسأل عن عائلتك أم أن هذا أمر شخصي؟

- اسمع يا (أوم). أنا وثقت بك فقد رأيت فيك شخصاً مختلفاً، ولهذا فيمكنك أن تسألني عن أي شيء. لقد حدثتك بأسرار لا ينبغي التفوه بها. والدي يأتي ويذهب. إنه فنان. وأما والدتي، فهي عاملة اجتماعية، وأم عازبة تربي أربع بنات.
- لماذا كذبت عليَّ إذاً عندما قلت إن أباك قتل في الشارع وأن أمك في السجن؟
- كنت أريد أن أثير فضولك لتعرف المزيد عني. وعموماً أنا الآن أخبرك بالحقيقة. لست أكذب عليك الآن، فأنا أحتفظ بحاجز قوي ومتين للفصل بين حياتي مع أمي وحياتي مع العصابة. ولا أعرف بالضبط ما تعرفه أمي عن تفاصيل ما يحدث لي في الشارع. لا أعرف لماذا تتعامل معي وكأنها لا تعلم شيئاً عن حياتي في المنطقة الوسطى بين المدرسة والبيت، فقد كنت أعود إلى المنزل في وقت متأخر كل مساء. ربما يكون ذلك محاولة منها لإنكار الحقيقة والواقع الذي لو عرفته فسيكون صادماً لها. لقد توفي بعض الأشخاص المقربين منها مؤخرًا، وأعتقد أنها مكتئبة. وأنا لا أريد أن أزيد من متاعبها. الشيء المهم بالنسبة لي هو الخروج من المنزل بعد العودة من المدرسة، وهي لا تسمح لنا بالخروج أبدًا. لذا، فأنا ببساطة لا أعود إلى المنزل بعد

المدرسة مباشرة، بل أعيش حياة العصابة طوال اليوم قبل العودة للمنزل، وأكون مستعدة لمواجهة العواقب لاحقًا.

- وهل تعلم إدارة المدرسة بحقيقتك؟
- ذات مرة، سمعتُ والدتي ومعلمتي على الهاتف يقولان: ماذا سنفعل مع (إيزيس)؟ فعرفت أنهم يعلمون بعض ما أقوم به، وأني سببت لهم متاعب ومشكلات، وربما في المستقبل القريب أيضاً، فأنا لست عازمة على التخلي عما أقوم به. لقد أصبح أكثر من إدمان بالنسبة لي. إنه حياتي. هل تصدق أن زميلاتي في المدرسة من عضوات العصابة اتخذن تلك العبارة شعاراً ونداءً للتجمع عندما أخبرتهن بالحوار الذي دار بين أمي ومعلمتي؟ فإذا أردن أن يجمعن بقية الأعضاء يقلن: (ماذا سنفعل مع إيزيس؟) ها ها.
- العمل مع العصابة سوف يقضي على مستقبلك يا فتاة!
- أنت محق! فمن المفترض أن يكون لديَّ مستقبل، وأنا الآن ضمن برنامج إطلاق السراح المشروط، لكنني ما زلت أحصل على درجات جيدة في الدراسة، رغم أنني لا أهتم كثيراً لذلك، فلدي خطة أخرى. بقيت مدة من الوقت أخرج مع زعيم المنظمة، واعتقدت أنني سأتزوج منه وأنجب أطفال عصابة المحاربين، وبذلك نستحوذ على

المنظمة كلها، ونصبح مثل المافيا. كان ذلك أمراً حقيقياً بالنسبة لي لدرجة أني لم أفكر فيه كثيراً.

- ما هي خطتك بعد الزواج من زعيم المنظمة؟
- بالطبع لن يحدث ذلك يا (أوم)، فقد تغيرت الأمور كثيراً بعد أن أصيب (جلفاترون) برصاصة في رأسه سببت له الشلل. لم نكن نخطط للعيش بعد الزواج، ولكني كنت أتوقع أن نخرج مثل الجنود في نهاية المطاف. هل تعلم أني على استعداد للموت من أجل القضية؟ فالكثير من أقراننا يموتون. لقد مات عدد منا منذ أن بدأنا بتكوين المنظمة. وها هو حبيبي مصاب بطلقة في الرأس ومصاب بالشلل. فما هو أسوأ شيء سيحدث لي بعد ذلك؟
- ياللهول. أنت لا تمزحين إذاً! وبالمناسبة ما هو أسوأ شيء حدث لك بالفعل حتى اليوم يا (إيزيس)؟
- ذات مرة، ضربت ولداً، ولم أكن أعلم أنه الأخ الأصغر لتاجر مخدرات كبير في المنطقة. لقد كان ذلك الولد مندهشاً أن فتاة تقاتله فاستخف بالقتال، لكني أصبته بجروح بالغة. حدث هذا هنا في بروكلين هايتس. لقد أذللته أمام حشد كبير من أفراد العصابة ولم أخش عاقبة ما فعلته. لم أكن ذكيّة بما فيه الكفاية لأخاف. لقد فكرت فقط، أنه فليحدث ما سيحدث أيًا كان! وبعد ذلك توقعت أن تطلق

عصابته النار على رأسي في أي لحظة بينما أسير في شوارع بروكلين. فعصابة المخدرات لا يمزحون، خصوصاً إذا مد أحدهم يده بالأذى ليطال أسرهم وأبناءهم. لم أكن أعرف كيف ستشعر بالرصاصة إذا أطلقت عليك، ولكني رحبت بهذا الشعور نوعًا ما، بعدما اكتشفت المأزق الذي أوقعت نفسي فيه. تصور؟ رحبت بإطلاق الرصاص على رأسي ولم أفكر فيما سيحدث لي عند ذلك وهو الموت! فقط فكرت أنني سأصبح بطلة بين أفراد المنظمة وأنهم سيحتفلون بي. هذا هو النوع المريض من الأفكار الانتحارية التي تراود الكثير منا في المنظمة، على الرغم من أننا لا نفكر فيها أبدًا على أنها انتحار. بل نظن أنها بطولة! إننا نفعل ذلك لنحصد الإعجاب من الرفاق خلال لحظات قليلة، لكننا ننسى أن عواقب أفعالنا تلك ستطاردنا بقية حياتنا البائسة أو أنها ستقضي علينا تماماً. يا لنا من أغبياء. المهم أنني بقيت أستمتع بمطاردة عصابة تاجر المخدرات لي، وكنت ماهرة في الهرب منهم والتخفي، لكن في آخر الأمر أزعجتني تلك المطاردات المتكررة فلم أعد أخاف منهم، فبقيت أمارس زعامة المحاربات على العلن. وفجأة توقفوا عن المطاردة بعدما علموا أنني زعيمة المحاربات وحبيبة زعيم المحاربين المشلول. لقد أيقنوا أنه ليس في مصلحتهم أن يدخلوا في صراع معنا، ولو فعلوا فسوف يخسرون

الكثير من سمعتهم كتجار مخدرات، بينما نحن منظمة معظم أفرادها من المراهقين طلاب المدارس، وليس لديها ما تخسره. خصوصاً أن ابن زعيم المخدرات لم يمت، بل تم إذلاله فقط بواسطة فتاة.

لكنني منذ عامين بعد أن بلغت السادسة عشرة من عمري، تم القبض عليَّ بتهمة الاعتداء والسرقة هل تصدق هذا؟ لقد كنا نتصرف بغباء في القطار، حيث ذهبنا إلى المحطة الأخيرة فقط لمشاهدة أعضاء المنظمة من الشباب وهم يمارسون الجنس مع الفتيات من خارج المنظمة، فقد كن يتجمعن هناك لممارسة هذا الفعل، فممارسة الجنس مع أفراد العصابة بواسطة فتيات لا ينتمين لها هي مسألة مثيرة وتجربة جديرة بالفخر، حيث يفخر عضو العصابة بعدد الفتيات اللائي قام باغتصابهن وبالممارسة معهن من خارج المنظمة، يضيفهن إلى حصيلة مغامراته الغبية فيقول: هل تصدقون أنني نمت مع عدد كذا وكذا من الفتيات؟ أجبرتهن على هذا الفعل معي بالقوة؟ وبالطبع كنت أستمتع بالمشاهدة وسماع أصوات البنات الخائفات. أنا مريضة نفسية فعلاً أليس كذلك؟ رأيت فتاة منهن تحمل حقيبة جميلة وترتدي معطفًا جلدياً راقياً. ولأنني كنت القائدة، فقد كنت أطمع في أن أستحوذ على تلك الحقيبة وذلك المعطف. وبالفعل أخذتها، إلا أنه أثناء غفلتي سرقها

بعض الشباب الذين كانوا يحاولون استغلالي فيتبعونني طمعاً في الغنيمة. وبعد ساعتين اصطدمت بنفس الفتاة اللعينة التي حينما رأتني هرعت إليَّ لتسترد أشياءها المنهوبة، فبقينا نتقاتل إلى أن جاءت الشرطة ولم أشعر بذلك. وبعد القبض عليَّ تم وضعي في السجن مع مدمني المخدرات والبغايا. تصور؟ اعتقلني اثنان من رجال الشرطة السريين السمر البارعين، وعندما أدركت أنهم لا يعيرونني أي اهتمام بعدما ألقوا بي في زنزانة الحبس، نظرت في مرآتي الصغيرة وفكرت ثم قلت لنفسي، (إيزيس) أنت مقاتلة وسفاحة! ولست إنساناً عادياً. فما هذا الإذلال والمهانة التي أقحمت نفسك فيها؟ لقد كانت رؤية أولئك الحراس السمينين يجلسون خارج هذه الزنزانة، يأكلون كعك (الدونَتْ) ويشربون القهوة أو يشوون الأضلاع ويصرخون في وجهي ويضعون السلاسل في كاحلي، أمراً مهيناً وكافياً بالنسبة لي، ففكرت بترك المنظمة والتقاعد نهائياً فور مغادرة زنزانة الاعتقال.

لن أنس أبدًا وجه أمي عند إطلاق سراحي المشروط وعودتي للبيت. أووه، ونظرة خيبة الأمل تلك في عينيها! قالت: "أنت غبية جدًا! أنت لا تعرفين، أيتها الفتاة الصغيرة، ما الذي تقحمين نفسك فيه!". وحين قدموني للمحاكمة وقبل الحكم عليّ، وعدت الرب قائلة: "من فضلك يا رب، لا تضعني في السجن وسأخضع لمشيئتك وأقوم

بالتعويض والإصلاح والتعديلات!" وبالفعل لم أدخل السجن، فلقد حصلت على حكم بخمس سنوات مع وقف التنفيذ، نظراً لأنها كانت أول مرة يتم القبض عليَّ ولم تكن لي سوابق، فتم إطلاق سراحي المشروط ووضعي قيد المراقبة والإصلاح. وبذلك اعتزلت المنظمة قليلاً، لكني في بعض الأحيان كنت أعود لممارسة الزعامة سراً. أعتقد أن عنف العصابات هو إدمان مثل المخدرات. اندفاع الأدرينالين يمكن أن يعيدك إليهم في أي وقت. ورغم أن الرب حقق ما طلبته منه إلا أنني لم أذهب إلى الكنيسة ولو يوماً واحداً. أعتقد أنني لو ذهبت إلى هناك فسوف أحترق عند باب الكنيسة، لأنني أعلم أنني آثمة بما يكفي.

كانت (إيزيس) تتحدث بدون توقف وكأنها وجدت من تفرغ له كل ما في جعبتها من أثقال بالحديث عن الأفعال والجرائم التي ارتكبتها خلال سنوات مارست فيها الكتمان والتحفظ، فقد وثقت بي لدرجة أنها كانت مستعدة لتقول أي شيء وكل شيء. وكأنها تخشى أن أقول لها كفى فلا أريد أن أسمع المزيد، ولكني منحتها أذناً واعية واهتماماً جعلها تقول كل شيء.

ثم قلت لها بعد أن استمعت لكل ما قالته:

- يا فتاة لا بد أن تتوقفي عن هذه الأعمال وتنظري لحياتك بجدية. إنك تهدرين أجمل لحظات عمرك في عمل ستندمين عليه كثيراً مستقبلاً.

قالت:

- دعني أقول لك شيئاً يا مدعي الحكمة. هأ هأ. إنني لا أخشى ما سيأتي أو ما سيحدث لي. لقد كانت هناك بضعة أشهر مظلمة في حياتي حين شهدت جنازات خمس من أفراد المنظمة. بدا الأمر كما لو كانت هناك جنازة كل أسبوع. ثم أصيب حبيبي وصديقي (جالفاترون) زعيم المحاربين برصاصة في رأسه. لم أكن حاضرة وقتها، فلم أشهد الحادث، ولكن قيل لي إن أحدهم سحب مسدسًا ووجهه نحوه خلال مباراة "ضربة واحدة قاضية" فأصيب بالشلل جراء تلك الطلقة. والآن (جالفاترون) ليس هناك ليقودهم ويوجههم، صدق أو لا تصدق. لقد أصبحت أنا مسؤولة عن العصابتين: عصابة الأولاد إضافة إلى مسؤوليتي عن عصابة البنات. ولن أتخل عنهم ولن أخذلهم فقد وثقوا بي.

ثم مات صديق مقرب مني حقًا. هو يشبهك في لونه، ونحافته وذكائه وحميميته ما عدا فارق السن، فقد كان عمره ستة عشر عامًا فقط، وأنت الآن في العشرين. ولكنه كان تاجر مخدرات قوي. وكان يعتقد أيضًا أنه لا يُقهر. على ما يبدو، كان يتباهى ببندقيته وعندما

طلب شخص ما رؤيتها، سلمها له فقام الرجل بإطلاق النار عليه. كنت قريبة جدًا منه وكنت معجبًة به بشدة، لذلك أثر ذلك الحادث عليَّ حقًا. رؤية دماغه يتفجر ويتناثر على وجهي والدم يسيل منه، ورؤيته وهو يلفظ أنفاسه ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً من أجله. بكيت وشعرت بالضعف لأول مرة في حياتي حين بكيت، فزعماء العصابات لا يبكون ولا يضعفون، أو لا يفترض فيهم ذلك، فينبغي أن يتميزوا بالجلد والقوة والشجاعة. وأنا كنت كذلك، لكني في تلك اللحظات شعرت بالقهر وقلة الحيلة. لم يكن موته هو الذي صدمني حقًا، ولكن صدمتني حقيقة عجزي عن المساعدة، وحقيقة أن الجميع يموتون مهما بلغوا من القوة والنفوذ. فهذا الشاب مات فجأة أمام عيني، ولم يكن ذلك متوقعاً. علمت أن ذلك سيحدث لي حتماً في يوم من الأيام إن استمريت في هذا السلوك المتهور والغباء المفرط. لا أدري هل ثقتي بك وتقربي منك لأنك تشبه ذلك الفتى فأفضيت إليك بكل هذه الأسرار؟ هذا ليس سؤالاً فلا تكلف نفسك عناء الإجابة عنه. لكني – وبهذه المناسبة – أحس تجاهك بمشاعر غريبة ومتنامية كلما حدثتك أكثر وأفضيت لك بمكنوناتي وأسراري. أرجو ألا تفرط فيها. ذلك الفتى يشبهك بشكل مبالغ فيه، لدرجة أنني حين رأيتك في الشارع ذلك اليوم واللص يسلبك نقودك ظننت

أن روح ذلك الفتي قد عادت من الموت متقمصة جسدك، فكدت أطير وراءك وتبعتك حتى رأيتك تدخل الفندق. لم أصدق عيني لحظتها، فقد أيقنت أنك أنت هو. فمشيتك تشبه مشيته، وطريقة كلامك وكل شيء فيك، وما زلت أشك أنك هو، فهل أنت هو حقاً؟ هل تصدق أنني لم أعد إلى بيتي تلك الليلة فبقيت أرابط خارج الفندق حتى رأيتك تخرج صباحاً فتبعتك؟ إنني أظن الآن أن روحه قد عادت من الموت فدخلت في جسدك هذا لتكون قريبة مني. هل أنا مخبولة أو شيء من هذا القبيل؟

أرجو أن تلتمس لي العذر، فلقد شعرت بالذعر في تلك الليلة حين قتل صديقي يا (أوم). كنت منزعجًة للغاية لدرجة أنني صعدت إلى السرير مع أمي ألتمس أحضانها. لم تكن متعودة على ذلك فقد كانت تعلم أنني قوية لا تهزني الأحداث. وعندما استيقظتُ، وجدتها تنظر إليَّ وتبكي، فقد رأيت ليلتها أحلاماً مزعجة اعتقدت فيها أنهم أطلقوا النار عليَّ، وأنني مت وكنت في النعش في ذلك الحلم. كانت إحدى قدمي في القبر والأخرى أركض بها محاولة الفرار من هذا الموقف. لقد فطرتُ قلب أمي في تلك الليلة، فقررت التخلي عن المنظمة يومها.

ثم بدأ أفراد المنظمة يتصلون بمنزلي في فلاتبوش بروكلين ويهددون حياتي وعائلتي، فقررت أنني أريد أن أعيش. كنت أعلم أن ترك المنظمة لبعض الوقت سوف يسبب لي الكثير من التوتر والضغط النفسي. أحسست أنني أغرق وأنني لا أعرف السباحة. لم تلاحقني بنات منظمة المحاربات فقد كن يعلمن أنه لا حياة لي بدون العصابة، وأنني لا يمكن أن أتخلى عنهن ولابد أنني سأعود يوماً ما. وحين تخلفت عن الحضور ظنت الفتيات أن هذه إحدى حيلي لأختبر ولاءهن لي وللمجموعة. لكن بمرور الوقت بعدما طال غيابي أصبن بالإحباط حين أدركن أنني تخليت عنهن فعلاً، فالبنات اللائي كن يعتقدن أنني ملكة وأنني مَثَلُهن الأعلى وأيقونتهن لم يعدن يحببنني. وعندما تغادر، فإنك لن تبق متمتعاً بحماية المنظمة بعد ذلك على الإطلاق. والأشخاص الذين آذيتهم يعرفون أن هذا هو وقت ضعفك. لذا فأنت عرضة للخطر. كان الأمر صعباً للغاية فقررت العودة مرة أخرى للزعامة. وحين رأوني في الشارع قدموا لي الاحترام مرة أخرى. وها أنا ذي اليوم أمارس الزعامة، رغم أنني ما زلت تحت المراقبة بواسطة الشرطة، فأنا مطلقة السراح مع المراقبة لمدة خمس سنوات.

وفي ذلك الأثناء عمل أساتذتي ووالدتي معًا لإرسالي إلى الكلية بعيدًا عن هنا، واغتنم ضابط المراقبة الخاص بي الفرصة فسمحوا لي بمغادرة الولاية للذهاب إلى تينيسي. كان هذا أحد دروسي الأولى في القيمة وتقدير الذات. وكانت أمي تثق بي أكثر مما كنت أثق بنفسي. قضيت ثمانية عشر شهرًا هناك. لكنني هربت عائدة إلى بروكلين فلا حياة لي في أي مكان آخر. أرجو ألا أكون قد خذلتها بعودتي مرة أخرى. لقد فرحت لرؤيتي لكنها حزنت لعدم مواصلتي الدراسة في تينيسي.

بالمناسبة لقد عدت من هناك منذ شهرين فقط. هل تصدق؟ فأنا الآن أعمل مع الطلاب المعرضين للخطر لأنني أحسست أنني أقدر أو أملك أن أقدم لهم شيئاً بحكم خبرتي وأنني في مثل أعمارهم. لماذا تظن أنني أهتم بك؟ لسببين: أولهما هو أنني أعتقد جازمة أن روح ذلك الفتى المقتول قد عادت فيك مرة أخرى لتكون قريبة مني فأنا أؤمن بتناسخ الأرواح. والثاني هو لأنك ضحية، وأنا الآن صاحبة ضمير حي مستيقظ! لا تضحك من كلامي هذا. نعم نعم. أنا صاحبة ضمير مستيقظ الآن. هل تظنني حجراً أو جماداً يا (أوم)؟ ما يزال عندي قلب! ولهذا لا أريدك أن تتأذى. إنني أريد أن أحول هذه

العصابة إلى منظمة خيرة مفيدة. والمدهش أن هذا يتناقض تماماً مع أهداف العصابة التي أنا زعيمتها! أرجوك لا تخبر أحداً بهذا. اتفقنا؟

مجتمع تقاطعات الشوارع

سرعان ما أدركتُ أنها تقول الحقيقة حين بدأت تعرفني على أفراد المنظمة. أمضيت ذلك اليوم كله معها أستمع إليها. تناولنا وجبتي الغداء ثم العشاء تحت تلك الشجرة، وتولت هي دفع ثمن الوجبتين. وبكل تأكيد كان أكثر من العشرين دولاراً التي عرضتها عليَّ أول ما التقينا.

كان أولئك المراهقون أفراد المنظمة يمرون بنا طوال الوقت دون أن يتحدثوا معي أو معها. كانت تومئ إليهم بإشارات من أصابعها فيفهمونها وينصرفون وكنت لا أدرك سر تلك الإشارات. لكنني عرفت أنهم أفراد المنظمة لأنهم كانوا يفهمون تلك الإشارات حين سألتها:

- ما هذا الذي تفعلينه؟

فقالت لي:

- هذا اسمه التكديس (ستاكينق) وهي لغة الرموز والإشارات باستخدام الأيدي والتحدث باستخدام أصابع اليد فقط بدلاً عن الكلام بالصوت. نحن نستطيع كتابة الحروف الأبجدية بأكملها بهذه الإشارات، وباستخدام لغة الإشارة، يمكننا إجراء محادثة كاملة

دون قول كلمة واحدة مثلما رأيت، كما يمكننا كتابة الأرقام في الهواء، وكل رقم يرمز لعبارة وربما جملة كاملة.

في عصر ذلك اليوم قدرت أن وقت الصلاة قد حان، فقمت لأصلي العصر. لم أنتبه أنها كانت تراقبني طوال الوقت. وبعدما أنهيت الصلاة فاجأتني قائلة:

- أنا أيضاً أحب رياضة اليوجا مثلك يا (أوم) ولكني لم أر مثل هذه الوضعيات من قبل. ما اسم الوضعية التي يكون وجهك فيها ملتصقاً مع الأرض؟

غالبت ضحكتي حتى لا أحرجها وقلت لها:

- هذه الحركات هي جزء من صلاة المسلمين.

قالت:

- أنت مسلم إذاً؟ مثل محمد علي؟ هل تنتمي لجماعة البلاليين يا أوم؟

قلت لها:

- كلا! أنا فقط مسلم وما رأيته للتو هو جزء من صلاة المسلمين.

قالت:

- ربما ستحدثني أكثر عن هذا. أنا مسيحية، ولكن لم يسبق لي أن صليت ليسوع ولم أدخل الكنيسة. وأنا معجبة بمحمد علي.

قلت لها:

- أنا فخور به!

في عصر ذلك اليوم أخذتني إلى مجتمعها عند تقاطع الشارع. رأيت أربع مجموعات صغيرة مجتمعة في كل ركن من أركان التقاطع الأربعة. كان يبدو عليهم أنهم يتسكعون بلا هدف، لكنني سرعان ما أدركت أنني كنت مخطئاً، فهم ينفذون خطة محكمة لمراقبة الشوارع المحيطة وذلك من جميع الاتجاهات. من يتولى المراقبة يسمونه (مونجوس) أو (ميركات) أي النمس، ويجب أن يبقى حذراً طوال الوقت، حتى لو غفلت بقية المجموعة فهو المسؤول عن الحماية والحراسة وتنبيههم عند اقتراب الخطر الذي هو سيارات الشرطة أو موظفي مكتب الأمن الفيدرالي. إنهم يدخنون الحشيش ويبيعون المخدرات بينما يلعبون كرة السلة أو يتصارعون في الهواء الطلق.

وفي لحظة من اللحظات خاطبتهم (القاتلة المحترفة) باستخدام الأصابع وقبضة اليد فجاء بعضهم بينما بقي (النموس) يراقبون أركان الشوارع. وفي لحظة كان هناك أكثر من عشرة أفراد من الأولاد والبنات يحيطون بي. أفهمتني أن هذه هي لحظة أداء قسم الولاء للمجموعة قبل أن يقبلوا بي ضيفاً وأنه يستوي في ذلك الضيافة المؤقتة أو الانضمام بصفة رسمية للمنظمة. تولى أحدهم مباشرة أدائي للقسم فأمرني أن أجيب عن كل سؤال بنعم أو لا، وألا أتفوه بأي كلمة أخرى، وأن أظل واقفاً طوال لحظة

أداء القسم وأبقي ساعدي الأيمن منتصباً وراحة يدي مفتوحة فامتثلت.

- إذاً فأنت ترغب مصاحبة هذه العائلة والتشرف بضيافتها؟
- نعم!
- هل تعلم أن بقاءك معنا هو مثل انتمائك إلينا وأنه يجعلك مميزاً ومحترماً حقًا؟
- نعم!
- هل تعلم أن المنظمة معروفة في جميع أنحاء بروكلين؟
- نعم!
- هل أنت مستعد لطاعة الأوامر وتنفيذ تعليمات وقوانين المنظمة؟
- نعم!
- هل أنت مستعد لاحترام وطاعة رئيستك المباشرة؟ ذا هت؟
- نعم!
- هل أنت مستعد لاحترام زملائك في المنظمة؟
- نعم!
- هل تعلم أن كونك محارباً (ديسيبت) يأتي قبل أي شيء أو أي شخص (ما عدا أمك، وأبيك، وأخيك، وأختك أو أطفالك)؟
- نعم!
- هل أنت مستعد للمجازفة والتضحية بحياتك من أجل المنظمة؟

- نعم!

- هل تعلم أنه بمجرد انتمائك للمنظمة فلا سبيل للعودة أو العدول عن ذلك؟ (الدم عند الدخول والدم عند الخروج)؟

ترددت قليلاً فالأمر أصبح جدياً..

- نعم!

بعدما قلت نعم عند الإجابة على آخر سؤال مدت إلى (إيزيس) شفرة حادة لأمسكها بيدي وأضغط عليها حتى يخرج الدم ففعلت ذلك دون تردد. وسرعان ما هجم الجميع عليَّ وألقوا بي إلى الأرض وتراكموا جميعهم فوقي في ابتهاج، فكلما قفز أحدهم فوق صدري تبعه الآخر فقفز فوقه. كان ذلك نوعاً من الاحتفاء بي وكان بعضهم يقفز فوق بعض فرحاً للاحتفال بتلك اللحظة، لحظة انتماء عضو جديد إليهم. لم يسألوا ولم يتحدثوا كثيراً، فقد كانت فرحة عودة الزعيمة للعمل مرة أخرى هي الضمانة والحماية لي. وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياتي في هذا البلد الغريب. حين ركبوا فوق صدري، كانت يدي الممدودة بعيداً تقطر دماً لكنهم لم يهتموا. سألني أحدهم ما إذا كنت أرغب برسم وشم المنظمة على ذراعي أو ساعدي فقلت له:

- ليس الآن فأنا مجرد ضيف.

قالت إيزيس:

- ربما فيما بعد، فاتركوه الآن!

(إيزيس) وحدها كانت من أشار عليَّ بربط يدي بقطعة لأوقف نزيف الدم ففعلتُ. كنت قد ضغطت على النصل بقوة فتدفق الدم من يدي غزيراً. لم تكن لحظة الانضمام إلى المنظمة لحظة عابرة، بل كانت فارقة في حياتي بين مرحلتين، أولاهما ما قبل المجيء إلى أمريكا، حيث السذاجة والوداعة، وزملاء الدراسة في جدة، ومساكن الطلاب، والتسكع في الأسواق والحج كل عام، ورحلات العمرة إلى مكة والسفر إلى المدينة في الأعياد، ثم جميع ما تلا ذلك في هذه البلاد حيث استحوذت هذه الأفكار الشيطانية على كياني وتفكيري. كنت ممتلئاً بالفضول ومندفعاً للتغول في أعماق هذه المجموعات لسبر أغوارها، ومعرفة الأسباب والدوافع التي انتهت بهم إلى الشارع وممارسة هذه الأعمال. إنها تجربة جديدة. وهؤلاء المحاربون، شباب مراهقون، يطلقون على أنفسهم أسماء الأشرار ويدعون البطولة. تأثروا بأفلام الرسوم المتحركة فهم دائماً يصرخون مرددين العبارة الشهيرة "من فولترون!"

تبينت أن معظم أعضاء مجموعتنا هذه هم طلاب موهوبون في فنون الرسم ومعظمهم من مدرسة بروكلين التقنية، ولذلك فقد ملأوا الجدران بالرسومات والشعارات التي تمثلهم.

أخبروني بأنني سوف أنضم إليهم لأشارك معهم أول حدث قادم من

أحداث "الحشد السريع"، وفيه يجتمع أربعون أو خمسون منهم فيركضون جميعاً في وقت واحد، ويقتحمون القطار ليسرقوا وينهبوا. إنهم مجانين. رأيتهم يدخنون الحشيش في الشارع وفي القطار. وحين ذهبنا إلى السينما مرة تولى بعضهم دفع ثمن التذكرة. ومن الواضح أنهم يملكون المال الذي يسلبونه من ركاب القطارات. كان الفيلم يحكي عن العنف ويمجد البطل العنيف. كانت هذه هي الأفلام التي تثيرهم وتعجبهم. فلقد رأيتهم يقلدون حركات بطل الفيلم وأفعاله ونحن لم نغادر دار السينما بعد.

حدثني أحدهم أن آخر هجمة نفذوها كانت منذ أسبوعين وكانت ليلاً، وأن بعض الركاب في القطار أطلقوا النار عليهم، لكنهم لم يبالوا وأن ردة الفعل العنيف هذه زادتهم إثارة. قال لي إنهم يعتقدون أنها كانت مغامرة مثيرة وأنهم مستعدون لتكرارها وهم في هذه المرة سيهجمون وهم يحملون المسدسات بدلاً من الهراوات ومضارب البيسبول.

لكنني قبل أن أشارك معهم في ذلك الحدث المرتقب رأيتهم في اليوم التالي يغلقون الشوارع، فقد اجتمع ما بين مئتين وخمسين إلى ثلاثمائة منهم فأوقفوا حركة المرور. ثم جاءت شرطة نيويورك بمعدات مكافحة الشغب لتفريقهم فازدادوا إثارة وجنوناً.

سرعان ما أدركت أن هذه العصابة تفتقر إلى هيكل رسمي لتنظيم من يأتي

ويذهب داخل صفوفها، وذلك رغم إجراءات القسم التي يتبعونها. قال لي أحدهم إنه إلى جانب عضوية هذه المنظمة فهو ينتمي أيضاً إلى مجموعات المحاربين اللاتينية التي تسمى (بوزر) وهي منتشرة في منطقتي كوينز وبرونكس، مما يجعل من الصعب معرفة عدد أعضائها. لكنهم جميعاً يشكلون أخوية متماسكة مستوحاة من الخصوم الرئيسيين من سلسلة المتحولين. إنهم بمجرد الثقة بك يأخذون في الثرثرة معك. كنت أظن أن العصابات تمارس نوعاً من التكتم وأنهم لا يتحدثون كثيراً، لكن يبدو أن هذه العصابة مختلفة. حاولت إحدى الفتيات التقرب إليَّ عن طريق الحوار. اقتربت مني خلسة ثم قالت هامسة:

- اسمع يا (أوم) عليك أن تتوقع الهجوم بالقفز عليك في أي لحظة لمدة واحد وثلاثين ثانية خلال نصف الساعة القادمة، ومن المحتمل أن يجرحوك بالمشرط أو يضربوك بقوة وعليك أن تدافع عن نفسك.

كانت فتاة نحيفة لكنها تبدو متوحشة في مظهرها مثل سكان غابات الأمازون، فقد نكشت شعرها وأطلقته فوق وجهها وصدغيها بغير ترتيب. وارتدت قميصاً يشبه جلد النمر ينتهي في أسفله بشرائح مثلثة. كانت تلبس في قدميها حذاء رياضياً، مثلها مثل بقية أعضاء العصابة، فقد علمت أنهم جميعهم يلبسون الأحذية الرياضية التي تساعد على الركض والهرب حال الهجوم على القطارات، وأيضاً للتمكن من الفرار

عند مطاردتهم بواسطة الشرطة.

قالت الفتاة مواصلة همسها:

- هذا أمر طبيعي لا تخف منه، فحتى نحن الإناث نمر به كنوع من الاختبار قبل أن يتم إدراجنا في عضوية المنظمة. لا بد أن يمر الجميع بطقوس تحتوي على العنف. فالمبتدئون الذكور يواجهون "القفز"، أي الهجوم والضرب المتزامن على يد العديد من أعضاء المجموعة. بينما المبتدئات يتعرضن لما يعرف باجتياز اختبار "الاعتداء الجنسي" من قبل عدة أعضاء ذكور يتحرشون بهن في ليلة واحدة وعليهن أن يدافعن عن أنفسهن.

قلت لها:

- ما اسمك بالمناسبة؟

قالت:

- (مكايلا)

قلت:

- وهل تعرضت للتحرش أو لمحاولة الاعتداء الجنسي يا (مكايلا)؟

قالت:

- نعم! عدة محاولات في ليلة واحدة، عندما كنت عضوة جديدة حاولت مجموعة من المحاربين ذلك. كان عددهم ستة أفراد انقسموا

إلى ثلاث مجموعات، هجموا عليَّ ثلاث مرات متتاليات في ليلة واحدة، فقاومتهم جميعاً ولقنتهم درساً لن ينسوه. لم أكن أعلم أن هذا مجرد اختبار فكنت غاضبة جداً مما حدث. لم يخبرني أحد أنه سيتم القفز عليَّ قبل قبول عضويتي. لكني كنت أضع في أصابعي أظافر من حديد، وهؤلاء الأغبياء لم يكونوا مستعدين، ولذلك فوجئوا. لقد انتهى بهم الأمر جميعاً في المستشفى والدماء تسيل من وجوههم. ثم أطلقوا عليَّ بعد ذلك اسم (باد باني) أو الأرنب السيء. والمدهش أن كل مجموعة كانت تنفذ الهجوم ولم تعلم بما حدث للمجموعة التي سبقتها، لكنهم التقوا جميعاً في المستشفى بعد ذلك، فعلمت كل مجموعة منهم ما أصاب المجموعة الأخرى!

شكرتها على النصيحة في حين جاء بعض الأعضاء ليتعرفوا عليَّ. علمت فيما بعد أن ذلك التعارف يحدث غالباً قبل تنفيذ أول عملية هجوم، وذلك لأن كل خمسة أو سبعة أفراد يعملون معاً. فهم يحاولون معرفة نقاط ضعفك وقوتك. عرفتُ منهم (ستيكي فينغاز)، و(فريدرو)، و(روك)، و(شون برايس) و(نيكرو)، و(جي زي) وكنت سابعهم! حدثوني عن عملية اسمها (فلاش موب)، أي عملية النظافة السريعة لكنس ما بأيدي الركاب، وهي الهجمات السريعة الخاطفة والمنسقة حيث يتجمعون في عربات مترو الأنفاق، وينهبون ما يحمله الركاب ثم يلوذون بالفرار

السريع. وتعتمد سمعة العضو على سرعة وكفاءة التنفيذ لعملية السطو، ثم سرعة الفرار بحيث لا تستطيع الشرطة الإمساك به. قائد مجموعتنا يدعى (روك) ويطلقون عليه (ثندربولت) أي الصاعقة نظراً لسرعته الفائقة والدمار الذي يلحقه بالركاب ساعة الهجوم.

أخبرتني (إيزيس) أن المجموعة أسسها ثلاثة أولاد من مدارس مختلفة هنا في بروكلين. وكان اسمها (ميجاترون). ولكن مع توسع العصابة، تضاعفت في فروع مختلفة في جميع أنحاء مدينة نيويورك، فأصبحت لها فروع في كلينتون هيل، وفلاتبوش، وبيد ستوي. وبينما هي في بروكلين من السمر إلا أنها خارج بروكلين تتألف في المقام الأول من اللاتينيين. وأخبرتني أن مجموعتهم هذه هي أكثر مجموعة مسالمة في نيويورك بينما بقية المجموعات تمارس العنف المفرط. فهناك فرع محلي من العائلة يدعى (لو لايفز Lo Lifes) أي الفقراء المسحوقون، لكنهم مشهورون بارتداء ملابس (بولو) من تصميم (رالف لورين) فقط، وهم يهجمون على محلات الأزياء هذه للحصول على أزياء للعصابة. تبين لي أن دوافع المحاربين أقل تعقيدًا – فهم شباب فقراء يعيشون أوقاتاً يائسة وظروفاً قاهرة، فيحاولون لفت الأنظار إليهم بقوة، وذلك عن طريق السطو على المحلات والقطارات، والبعض منهم يبحث عن الشهرة والمجد. ولذا فكثيرون منهم يؤسسون الفرق الموسيقية والغنائية أو يمتهنون الرقص.

والبعض يمارس لعب كرة السلة في الطرقات، فإذا تميز يقوم وكلاء الفرق الكبيرة بتوظيفه والتعاقد معه سواء كان ذلك بتميزه في المدرسة، أو حتى في الطرقات. لكن الفاشلين منهم يمارسون سرقة السيارات والسطو على المنازل. بينما الناجحون يمارسون تجارة السلاح وبيع المخدرات.

(ستيكي فينقاز) أو (الأصابع اللزجة)، طالب في بروكلين التقنية وعضو في المجموعة. وهو يتميز بخفة اليد والبراعة في سرقة المارة دون أن يشعروا. يفعل ذلك دون أن تطرف له عين، يفعله وهو لا ينظر للضحية حينما يمر بجانبها فتمتد أصابعه بسرعة البرق لتسلب الضحية مقتنياتها. وهذا يفسر سبب اللقب. حينما علم أنني جئت هنا لأدرس تقنية المعلومات عرَّفني على صديقه (ريكو) البارع في استخدام التقنية وبقية أصدقائه البورتوريكيين. وكان يظنني منهم لأصبح عضواً في عائلة بورتوريكو. لكنه سرعان ما اكتشف من لهجتي أنني لست كذلك فبقي متحيراً.

أخبرته أنني قادم من السعودية وليس من بورتوريكو فقال لي ضاحكاً:

- كنت أظنك بورتوريكياً لعيناً، ولهذا فكرت أن أقدمك إليهم لكن من الجيد أنني لم أرتكب هذا الخطأ فهؤلاء لا يمزحون، فإما أن تنضم إليهم، أو تصبح ضحيتهم ولا توجد أي اختيارات أخرى.

قلت له:

- وهل هم من نفس المدرسة؟

قال:

- أنت تعلم أن مدرسة بروكلين التقنية هي التي تخرج هؤلاء المحتالين. لقد جعلوا منها مدرسة سيئة السمعة. هؤلاء البورتوريكيون يقفزون من سور المدرسة ويستقلون القطار ثم يقفزون منه، ويذهبون إلى مدارس أخرى، فيقومون بترويع الجميع.

كان (ستيكي فينقاز) صغير السن جداً فهو بالكاد بلغ سن المراهقة. ورغم هذا فقد كان يعيش أسلوب حياة المحاربين، مع بقية زملائه حيث يجتمعون للتدخين والقتال، وينفذون عمليات سطو صغيرة، ويمارسون التحرش الجنسي والأفعال المجنونة التي يقومون بها كل يوم. أخبرني أنه يشارك زملاءه في ضرب وسرقة السكان المحليين بشكل عشوائي. قال لي إنه عندما يصعد مع زملائه إلى القطار كان كثيراً ما يسمع ركاب القطارات ينبه بعضهم بعضاً فيقولون:

- الحذر الحذر. يوجد محارب (ديسيبتز) في الجوار!

قال لي (ستيكي فينقاز):

- هذه العصابة بها مئات الأعضاء، ولكن عندما تقرر تركها فإنه لا يوجد نظام من نوع "الدم داخلاً والدم خارجًا" مثلما يدعون. الجزء الأكبر من أفراد العصابة طلاب في المدرسة

الثانوية. إنهم يدخنون ويتحرشون بالفتيات ويؤلفون الأغاني الخاصة بهم ويمضون أوقاتاً سعيدة مع بعضهم البعض، لكن ذلك لا يمنعهم من الركض في القطارات، وخطف المجوهرات أو أي شيء، وخاصة قمصان بولو أو أجهزة وكمانز. (ديسيبتز) المحاربون لا يبلغون درجة تجار المخدرات في الخطورة لكنهم حين يتجمعون معاً فإنهم يسببون لحظات رعب في المدينة فخلال تنظيم مثل هذه الهجمات تتوتر المدينة وتصاب خوفاً من عصابة الشوارع هذه. هل لاحظت أنهم يستخدمون أسماء عديدة مثل (ميجاترون) و(ساوند ويف)؟ إنهم يجمعون النقود من جيوب ركاب قطارات الأنفاق يا رجل. ولهذا يطلقون على بروكلين اسم (سايبرترون) و(بَك تاون) أي مدينة النقود.

ومثلما أخبرتني (إيزيس) فقد تأكدت أن زعيم العصابة كان هو (ميجاترون) ويلقبونه (سينتينيل) أي الحارس، لكنه أصيب برصاصة في مؤخرة رأسه في محاولة سرقة فاشلة، وظل في غيبوبة لسنوات، والرجل الذي أطلق عليه النار اسمه (ستار سكريم) أو النجم الصارخ من عصابة يطلق عليها أوتوبوت!

أخبرني (ستيكي فينقاز) أيضاً أن (إيزيس) نشأت في فلاتبوش بروكلين وأنه هو من نفس تلك المنطقة أيضاً. ثم أشار إلى شعارهم مرسومًا في كل

مكان في الجدران. قال لي:

- كان أول تعرفي على العصابة هو أنني ذات مرة خرجت من الباب الخلفي للمدرسة، وكان هناك خمسة أو ستة منهم يقفون في أسفل الدرج في طابور. وعندما رأوني بدأوا في إجراءات "نداء الأسماء" ليتجمعوا ويبدأوا الهجوم عليَّ. وعندما لاحظت ذلك رجعت مباشرة إلى المبنى، وغادرت من البوابة الأمامية حيث الأمان. كنت معتاداً على ركوب دراجتي صعودًا وهبوطًا على الرصيف. وعندما لاحظوا ذلك أعجبهم الأمر فرغبوا في تعلمه مني فصادقوني، وهكذا تم إدراجي ضمن عضوية العصابة، وكفوا عن التفكير في الاعتداء عليَّ. ثم حاولوا أن يتعلموا طريقتي في إفراغ جيوب المارة، فأخبرتهم أن هذه مغامرة خطرة تتطلب الكثير من المهارات، فحين تدخل أصابعك في جيوب المارة فعليك أن تخرجها مليئة بالمال دون أن يشعروا بك، وإلا أوقعت نفسك في ورطة كبيرة. قلت لهم إنك يجب أن تختار الضحية بعناية وتتبعها حتى تنتهز الفرصة الملائمة كانشغالها بالشراء أو أثناء عبور الشارع وازدحام المشاة وغير ذلك.

قلت له:

- أنت الوحيد في المنظمة البارع في سرقة جيوب المارة؟

قال:

- أنا الأكثر مهارة في هذا الأمر. فأنت تعلم أن المجموعة بها مهارات كثيرة متعددة.

قلت:

- من هو أكثر الأعضاء رعباً؟

قال لي:

- أحد أكثر أفراد العصابة شهرة ليس في بروكلين فقط، بل في نيويورك كلها شخص يُدعى الوحش ويسمى أحيانًا (اللورد فيتال). إنهم يطلقون عليه لقب (نجم الموت المتحول)، و(سيد الفوضى)، و(آكل الكوكب). أعتقد أنه هو المعادل البشري لذلك الروبوت في الرسوم المتحركة الذي يطلقون عليه (بلاك آوت) أي الذي يسبب الغيبوبة. يا صديقي إنك لن ترغب في رؤيته ولا في عداوته. إنه وحش جبار، نستخدمه للصدام مع الأعداء فهو يسبب لهم الغيبوبة حقاً.

قلت له:

- هل لكم أعداء؟

قال لي:

- بالطبع! لنا أعداء معروفون هم أولاد (فان بورين). يا فتى، أنت لا تريد أن ترى هذين الوحشين عندما يتصادمان. عندما تشاجر

المحاربون مع أولاد فان بورين ذات مرة، لم أستطع مغادرة منزلي ليلاً لمدة شهر كامل. لقد جن جنون المحاربين فأطلقوا على مترو الأنفاق اسم (القطار الفلكي) ورسموا وجوه الأوتوبوت في جميع أنحاء (ريدجوود) و(وودهافن). ثم ظهرت بيننا مجموعات أشد فتكاً ورعباً. ظهر بيننا (جون لي الفاسد)، وظهرت مجموعة (القراصنة سادة الدمار والتخريب). هؤلاء الأولاد من المدرسة التقنية يجيدون اختراق الاتصالات باستخدام جهاز كومودور ٦٤. لقد أشعلوا حرب القرصنة الكبرى، وتم القبض عليهم بتهم التنصت على المكالمات الهاتفية الفيدرالية. يا رجل هذه المدرسة هي من بين أصعب ست مدارس ثانوية في مدينة نيويورك إذا أردت الالتحاق بها.

عندما رأى (ريكو) أن (ستيكي فينقاز) أصبح صديقي جاء هو الآخر يتقرب إليَّ فانتهزت الفرصة وسألته:

- كيف انضممت لهذه المجموعة يا (ريكو)؟

قال لي:

- لقد اتصل بي أصدقائي المقربون وعلمت منهم أنهم جميعهم أعضاء في المنظمة فانضممت إليهم. أنت تعلم أننا مثل أي منظمة أخرى يمكنك التفكير فيها، حيث يكون جميع الأعضاء الرئيسيين لكل

فصل متصلين في الأعلى. ثم لدينا قادة المجموعة يقدمون تقاريرهم ويتلقون أوامرهم أو مهامهم اليومية. ثم هناك نحن الجنود المحاربون، الذين لا يطرحون أي أسئلة. ومنذ انضمامي للمجموعة فأنا أعيش من أجل العصابة وأقوم بتنفيذ أي أعمال ضرورية يجب التعامل معها. كل ما نعرفه هو أن الأمر يجيء من الأعلى وانتهى الأمر. وقد أدخلني هذا في مواجهة مع مكتب التحقيقات الفيدرالي فاتهموني باختراق نظام اتصالاتهم.

- وهل فعلت ذلك حقاً؟

ضحك ولم يجب عن السؤال.

قلت له:

- هل أنت سعيد بهجومك على الأبرياء؟

قال لي:

- أحياناً أندم على ذلك، فالأبرياء لم يكونوا مستعدين أبدًا لما فعلناه بهم. لكن بالنسبة لأولئك الذين شاركوني وشجعوني على الهجوم أقول اللعنة عليهم. ولو استطعت أن أنتقم منهم لفعلت. لذلك أنا لست نادمًا على عدم وجود زجاجة في وجوههم، ولا مطرقة في رؤوسهم، أو حذاء في أذقانهم.

قلت له:

- إذاً فأنت نادم على انتمائك للمنظمة!

قال لي:

- قليلاً. لكن لا تخبر أحداً أنني أخبرتك بذلك. فهناك بعض الأفعال أنا فخور بها وبعضها أنا نادم عليه، لكني لا أستطيع مغادرة المجموعة أو التخلي عنها، ففيها أصدقائي وحياتي ومغامراتي. إن ما قمت به جعلني لا أقلل من شأن أي شخص، وجعلني أكثر يقظة في الوقت نفسه. لقد شاهدت أصغر رجل في المجموعة يسقط أكبر رجل بضربة واحدة! هههه. ولكن الشيء الأكثر أهمية الذي تعلمته أن الخداع هو أفضل سلاح لديك عندما تستخدمه بشكل صحيح.
- (ريكو)! يا رجل أنت تعيش تناقضاً بداخلك، فأنت تمارس العنف وتحزن أنك مارسته ضد الأبرياء!
- جميعنا نحب أن نعيش حياة طبيعية يا (أوم) فنحن نستحقها. أنظر حولك فسوف تجد أن أعضاء كثيرين هم مثلي تماماً، تختلط مشاعرهم، فبعضهم يخفي مشاعر رقيقة وقلباً طيباً يغلفه بالتظاهر بالعنف. نحن ضحية لهذا المجتمع الظالم الذي حولنا.
- لماذا تم تجنيدك للمنظمة؟
- تم تجنيدي لأن عندي شيئاً تحتاجه المنظمة. إذا تم تجنيدك، فذلك لأنك جلبت شيئًا ما إلى الطاولة.

- العنف مثلاً؟
- أو المهارة التقنية! فالعنف ليس مقياساً صحيحاً. الكثير من الأولاد في هذه المجموعة يحملون المطارق وأدوات القتال ويضربون الأشخاص على رؤوسهم ويستولون على ممتلكاتهم وأغراضهم. هذا هو المعتاد فهؤلاء الأولاد لا يمزحون. إذا رأيتهم قادمين نحو القطار، فمن الأفضل أن تركض بعيداً عنهم، بغض النظر عن مدى قوتك. ألم تسمع شعارهم؟ إنهم يتفوهون به قبل الهجوم: "اللعنة على كل أولئك الذين يعارضون محاربي ديسبتيكون الجبارين!"

حملة التبرعات

تجمع أفراد المجموعة في كولومبيا هايتس، وهو شارع راقٍ يمتد طوله ست بنايات بجوار ممشى بروكلين هايتس، حيث تنشط شرطة الدائرة رقم (٨٤) لمدينة نيويورك. كانت المجموعة تراقب مبنى الشرطة بصورة مستمرة. لم يكونوا خائفين عندما فعلوا ذلك، بل كانوا يتوخون الحيطة والحذر ولهذا فقد نقلوا نفوذهم إلى شارع الشرطة نفسه. قالوا إن من الحكمة أن تجعل عدوك قريباً منك لتعلم تحركاته وتكتيكاته فتتجنبها. لقد نصبوا مراقبين بالقرب من مركز الشرطة لرصد تحركات سيارات الشرطة ثم تحذير المجموعة عن طريق رسائل التكديس عند اقتراب أي خطر. معلوم أن كل مجموعة لها منطقة نفوذ محددة في بروكلين لا يمكنها تخطيها وإلا أوقعت نفسها في مشكلة مع المجموعة الأخرى التي تمتلك تلك المنطقة وتسيطر عليها. هايتس يحده شارع فولتون القديم بالقرب من جسر بروكلين في الشمال، ومنتزه كادمان بلازا ويست من الشرق، وشارع أتلانتيك في الجنوب، وطريق بروكلين-كوينز السريع أو النهر الشرقي في الغرب. العصابة تمتلك كل هذه المنطقة بالإضافة إلى الأحياء

المجاورة حيث يمتد نفوذها حتى دامبو شمالاً، ووسط بروكلين حتى الشرق، وكوبل هيل وبوروم هيل إلى الجنوب.

كان هناك حوار يدور بين المجموعة ولم يتم إشراكي فيه فقد كنت أتناول وجبة. لكني شهدت آخره وأخبروني بتفاصيله بعد ذلك.

قالوا لـ(إيزيس):

- لماذا نجمع الأموال لشخص غريب قادم من وراء البحار؟ ولم يتم اختباره بعد؟

قالت:

- أنا وعدت (أوم) بتوفير بعض النقود له. وذلك لأن اللص الحقير فعل فعلته السافلة في منطقة نفوذنا فسلبه نقوده ثم اختفى.

قال أحدهم ويدعى (كيتاي):

- نحن لسنا منظمة خيرية. القوي هو الذي يسود ولا مكان للضعفاء بيننا. وواضح أن (أوم) دجاجة جبانة، فقد سمح لذلك اللص أن يسلبه نقوده ولم يتكلف عناء الدفاع عن نفسه.

قالت (إيزيس):

- دعني أصوب مسدساً لرأسك وأرى كيف تدافع عن نفسك.

صمتوا كلهم.. فقد كانوا يعلمون أنها لا تمزح. وبعد فترة قالت الفتاة (نايت رايدر):

- فلننظم منافسة قتال شوارع بينه وبين من تختارونه ويكون ريعها لصالحه. ذلك هو الشيء الوحيد الذي سيثبت أنه ليس دجاجة وأنه يستحق أن نبذل جهداً من أجله.

قال (كيتاي):

- وإذا خسر؟

قالت:

- هذه هي فرصته ليكسب. لا مجال أمامه للخسارة.

تحمس الجميع للفكرة، وكنت قد وصلت للتو فسمعت آخر الحوارات فانتبهوا ونظروا ناحيتي، فهززت رأسي موافقاً. كانت فكرة مجنونة. لم يسبق لي أن خضت قتال شوارع إلا عندما كنت طفلاً في المرحلة الأولية. لكن الأمر مختلف جداً هنا. وبسرعة تم جمع النقود من الجميع لمنحها من يكسب الجولة. كان (كيتاي) يبتسم ابتسامة ساخرة فهو يعلم سلفاً أنه سيهزمني بكل سهولة. لقد كان ضخماً مفتول العضلات يتباهى بقوته أمام الفتيات، ويعرض جسده ليثير إعجابهن. وكن بالفعل معجبات به إلا في هذه المرة، فهو سيواجه خصماً ضعيفاً ليس نداً له، وهو خصم يحتاج للمساعدة والدعم أكثر من حاجته للقتال، فالأمر لا يستحق. لكن (كيتاي) وجدها فرصة لإضافة انتصار آخر سهل وسريع إلى سجل انتصاراته العديدة ضمن أفراد المجموعة.

ساد الصمت مدة طويلة قبل أن يتجاوزوا ذلك الحوار الأخير، فشرعوا في التخطيط للهجوم على قطار الأنفاق. قلت لنفسي هذه مجرد عصابة من المراهقين متخصصة في سرقة القطارات. علمت قبل ذلك عن طريق الحوار الذي دار مع بعضهم أنهم مجرد طاقم من أولاد المدارس الثانوية الذين تجمعوا معًا فأطلقوا على أنفسهم لقب محاربين فقط لأن زعيمهم (رامبل) كان لديه مشاكل مع شخص اسمه (ديوك) ينتمي لمدرسة ثانوية أخرى في بروكلين فبقي (رامبل) ومجموعته ينتظرونهم بالقرب من محطة القطار وبمجرد خروج (ديوك) وطاقمه من القطار، صرخ (رامبل) بشكل عشوائي قائلاً: "هجوم محاربي ديسيبتيكون!" ثم قام هو ومجموعته بضرب (ديوك) والاعتداء على طاقمه الذي كان معه. ثم من بعد ذلك حين شعروا بنشوة الانتصار قرروا التسكع في زوايا الشوارع بالقرب من المدارس المجاورة، ثم التجمع في مترو الأنفاق، فإذا اقترب منهم هدف ضعيف في مظهره، فإن العصابة تحيط به وتسرقه بسرعة وذلك لأن مترو الأنفاق ضيق ومزدحم وصاخب، وبذا فهو مسرح جيد ومناسب لأعمالهم، فيندفعون إلى عربة القطار، ويسلبون الناس كل ما في وسعهم قبل الفرار السريع والاختفاء عن أعين الشرطة. هذه هي العصابة باختصار.

واليوم صباحاً رتبوا للهجوم بعد انتهاء اليوم الدراسي على متجر ماسيز بمنطقة فلاتبوش وسرقة كل شيء من تصميم رالف لورين أو ملابس بولو. وبالفعل سرقوا أرواب الحمام وقفازات الملاكمة وكرات الشاطئ وورق التواليت وأي شيء عليه علامة رالف لورين. بينما حصلت الفتيات على الأسورة والحلي. كان هجوماً سريعاً وخاطفاً جعل العاملين في المتجر يفغرون أفواههم دهشة لهذا السيل البشري الهادر المتدفق على المبنى، وقد انتظم فيه العشرات من الأولاد والبنات الذين هجموا كالبرق الخاطف يحملون الهراوات ومضارب البيسبول في أيديهم، وبنفس سرعة الهجوم أفرغوا المتجر من محتوياته، ثم هربوا قبل مجيء الشرطة. المدهش كثيراً هو أنني لاحظت أن عصابة الفتيات أشد عنفاً من عصابة الفتيان. لاحظت ذلك عند تنفيذ الهجوم فقد كانت الفتيات أشد حماساً وجرأة، وكن يصرخن بأعلى الأصوات وهن يهجمن مثل قطيع الذئاب الجائعة وفي أيديهن مضارب البيسبول يحطمن الأرفف بعد نهب المقتنيات. وبعدما غنمت العصابة الكثير من متجر ماسيز ظننت أنهم نسوا أمر قتال الشوارع المتعلق بي، لكني فوجئت عصر ذلك اليوم أنهم قد تجمعوا في الساحة وكانوا ينظرون ناحيتي بين الفينة والفينة، فعلمت أنني سأكون بطل المشهد القادم.

كانت (إيزيس) قد قالت لي قبل بدء القتال:

- (أوم) أنت تعلم أنني لا أستطيع أن أساعدك بأكثر مما فعلت وإلا ظنوا بي الظنون. خاصة أنني ما زلت تحت المراقبة المستمرة من الضابط المسؤول عني فلن أحضر القتال وإلا انكشف أمري. وأنت تحتاج المال. هل ترى ذلك الرجل الذي يجلس في ركن قصي على مسافة مائتي متر في الجانب المقابل من الشارع أو أكثر، ويتظاهر بالانشغال بتناول وجبة؟ إنه الضابط المسؤول عن متابعة إطلاق سراحي المشروط، وهو الآن يحمل في يده منظاراً مقرباً ليراقبني ويظن أنني لا أعلم بوجوده. يا لحماقته وغبائه، فأنا زعيمة عصابة ولست فتاة ساذجة. المهم أنني سوف أبقى بعيدة في ركن الشارع أراقب الموقف. اسمع يا (أوم)، عليك أن تنتصر وإلا فقدت فرصتك في الحصول على المال، وعلى أي تعويض لما فقدته من نقود.

قلت لها:

- أشكرك كثيراً. فعلى أي حال أنت بذلت كل ما في وسعك لمساعدتي ولا أنسى لك هذا.

فكرت وهرشت رأسها قليلاً ثم قالت:

- تعرف ماذا!

قلت لها:

- ماذا؟

قالت:

- اقترب فسوف أعلمك خدعة تكسب بها المعركة.

قلت:

- ما هي؟

قالت:

- عند بداية المنازلة سوف يحاول خصمك أن يهاجمك بعنف وقسوة، ولن يترك لك أي فرصة لتدافع عن نفسك، فهو أقوى منك كثيراً. لكن الهجوم المباغت هو خير وسيلة لكسب المعركة. عليك أن تبدأ بالهجوم الخاطف قبل أن يكون مستعداً، فتستخدم أسلوب (الضربة الواحدة القاضية) لتوقعه أرضاً، وبذا تنهي المعركة قبل بدايتها. لكن لا تتردد ولا تخف. نفذها فوراً بدون رحمة. اعتبر أن خصمك هو ذلك اللص الجبان الذي استولى على أموالك. اجمع كل غضبك في قبضة يدك ثم أطلقها على صدغه مباشرة. فهمت؟ العصابة لا يهمها الأسلوب، بل النتيجة.

قالت هذا ثم دست في جيب معطفي قبضة نحاسية ففهمت المطلوب. لبستها في قبضة يدي ومضيت واضعاً يدي داخل جيوبي دون أن ألتفت إليها. تأكدت أن المجموعة لم تنتبه أنها قد دست ذلك الشيء في جيبي. كان خصمي قد تمت تسميته، وهو نفس ذلك المشاكس الذي اعترض على مساعدتي. كان مشغولاً بالتباهي أمام الفتيات. لم أسمع ما كان يقوله

لهن، فيبدو أنه كان يعدهن بمعركة يتسلى فيها بإذلالي. توجهت نحوه مباشرة. توقفت الفتيات عن الضحك والكلام حين لمحنني أقترب منه فجأة. كان متجهاً ناحيتهن وقد أولاني ظهره. وعندما استدار فاجأته بضربة قوية على صدغه بيدي التي كانت تلبس تلك القبضة الحديدية. فانهار على الأرض كالثور حين يعقره الجزار، وبقي هناك فاقداً الوعي. الدهشة والمفاجأة عقدت ألسنة الجميع ولم أكن بأقل منهم دهشة، بل لم أصدق أني فعلت ذلك. لكني سرعان ما أدخلت يدي في جيبي فدسست تلك القبضة النحاسية ثم أخرجت يدي عارية ووقفت متحفزاً ومتحدياً بتلك القبضة المجردة! الجميع سمعوا صوت (إيزيس) من الطرف الآخر للشارع وقد كانت تراقب الموقف وعندما رأت خصمي واقعاً على الأرض أطلقت صيحة مدوية:

- يررررر!

كانت مبتهجة لانتصاري السريع المدهش الذي حدث قبل أن يبدأوا في جمع المال. وكانت صيحتها بمثابة إعلان عن انتهاء القتال وفوزي الساحق. لكن كانت هناك مفاجأة أكبر من انتصاري. فقد رأيت صديقي الجمايكي (خليل) يركض ناحيتي. لقد رأى ما حدث للتو بيني وبين خصمي!

قال لي:

- الحمد لله أنني وجدتك أخيراً! لكن ما هذا الذي فعلته يا صديقي؟ كانت دهشته أشد من دهشة هذا الحشد الذي ألجمته مفاجأة انتصاري السريع.

قلت له وقد تجاهلت سؤاله:

- ما الذي أتى بك من نيوجيرسي وكيف علمت أنني ما زلت باقياً هنا في بروكلين وكيف عثرت علي يا خليل؟

قال لي:

- هل تعرف ذلك الشاب موظف الفندق؟ إنه صديقي لقد هاتفني فأبلغني أنه وقع لك شيء أو حادث لا يعلمه لكنه كان متأكداً أنك لست بخير. هذا الموظف هو أصلاً من بلدتي بجمايكا. لماذا تظن أنني حجزت لك في هذا المكان دون غيره من الفنادق في نيويورك؟

قلت له:

- وكيف عرف أنني ما زلت باقياً ولم أغادر بروكلين؟

قال لي:

- حينما غادرتَ الفندق صباح ذلك اليوم قبل أن تتناول طعام الإفطار ولم تستقل سيارة الأجرة للمطار كان هو قد أنهى مناوبته فخرج بعدك مباشرة، وهو يقيم قريباً من الفندق فتبعك دون أن تشعر ثم رآك تتحدث مع تلك الفتاة، وهو يعلم أنها فتاة خطرة ومشهورة

بكونها عضو أو زعيمة لعصابة من عصابات شوارع بروكلين، فهاتفني على الفور وقال لي أدرك صديقك، فمن الواضح أنه واقع في ورطة.

قلت له:

- كنت سأتصل بك لكنك نسيت أن تترك رقم هاتفك.

قال لي:

- في الواقع لم أنس فليس عندي رقم هاتف أصلاً في مسكني، لكن صديقي الجامايكي يعرف أين أقيم فاتصل بصديق له يقيم قريباً من مسكني ويملك هاتفاً في منزله فطلب منه أن يخبرني بما حدث. لكن ليس هذا هو المهم، فأنا ما زلت لا أصدق أنني سوف أراك في أي يوم من الأيام تتشاجر في الطريق أمام هذا الجمع من الناس. أنت مليء بالمفاجآت يا صديقي.

قالت (إيزيس) متسائلة:

- من هذا يا (أوم)؟ ولماذا هو هنا؟

أخبرتها أنه صديق قديم، وأنه ساعدني كثيراً ثم لما علم من صديقه موظف الفندق بما حدث لي هرع لمساعدتي.

قالت:

- جيد لك. جيد لك يا صديقي!

علمت أنها كانت تجاملني فقط حين أظهرت سعادتها بتدخل آخرين لمساعدتي، رغم أن نبرتها كانت حزينة لا تدل على الفرح بظهور هذا الصديق، فمن الواضح أنها في قرارة نفسها قد أصيبت بخيبة أمل لأن مخططاتها لضمي للعصابة استغلالاً لحاجتي قد أخذت في التلاشي. فقد كانت تعمل بكل ما في وسعها لأبقى هنا في بروكلين إلى الأبد، ولم تكن تعلم أنني سوف أغادر الشرق الأمريكي كله فجأة وبلا رجعة، فقد سافرتُ في صباح اليوم التالي متوجهاً إلى كاليفورنيا. وكانت تلك هي آخر مرة أراها فيها أو أي فرد من عصابة المحاربين والمحاربات.

أعلم أنني أديت قسم الولاء لمجموعتها، وقد التزمت بذلك القسم حين كنت معهم، حتى لو كان ذلك لفترة قصيرة جداً. لكنني الآن متوجه إلى منطقة أخرى خارج مناطق نفوذهم. وربما لو عدت مرة أخرى إلى نيويورك فمؤكد أنني سأكون ضمن هذه المجموعة، أو هكذا سولت لي نفسي ووسوس لي شيطاني الذي بقي مستيقظاً بداخلي.

لم أخبر (إيزيس) بوجهتي. أو بسفري. قلت لها إنني سوف أقضي الليلة مع صديقي هذا الذي قدم من نيو جيرسي لأجلي، فوافقت على أمل أنها ستراني في اليوم التالي، ولكن هيهات.

❊❊❊

لوس أنجلوس

في صباح اليوم التالي تسللت ومرافقي دون أن تعلم الفتاة (إيزيس) أو أي فرد من المجموعة بسفري المفاجئ، الذي كان نوعاً من الفرار في حقيقته، فقد حذرني (خليل) كثيراً من أي علاقة مع عصابات أولاد الشوارع. قال لي وهو يودعني:

- يا صديقي إنك لا تعلم خطورة هذه البلاد وعصاباتها، فقد يغتالونك لأتفه الأسباب، فعليك توخي أقصى درجات اليقظة والحذر.

ثلاثة أيام من السفر أمضيتها في الطريق من أقصى شرق أمريكا إلى أقصى الغرب، من المحيط الأطلنطي للمحيط الهادئ، برفقة سائق الشاحنة الجمايكي. وصلت بعدها مدينة لوس أنجلوس كاليفورنيا في أقصى غرب الولايات المتحدة. كانت رحلة جميلة رتبها لي صديقي خليل لأتمكن من رؤية أمريكا بهذه الطريقة. انتهزتها فرصة للتسكع في كل مكان نتوقف فيه مع مرافقي سائق الشاحنة. كان شاباً لطيفاً رغم أنه كان يقود بطريقة خطرة فقد كان ينعس أو ينام وهو يقود. وكنت أجبره على التوقف في إحدى المحطات متى شعرت بحاجته للراحة، وكنا ننام في العراء ليلاً فلم تكن معنا نقود كافية لقضاء الليالي في أي نزل على الطريق، وبدلاً من ذلك

وفرنا ما معنا من نقود لشراء الوقود والطعام. لقد كان يملك سريراً ولحافاً في شاحنته يتسع لشخص واحد، ولهذا فقد كنا ننام في العراء. وعند وصولنا سرعان ما فارقني، ولا أدري إلى أين، فقد أنزلني في شارع الجامعة في منطقة ويست وود، ثم مضى دون أن يقول أي كلمة. ربما هي طريقة الجامايكيين في الوداع! المهم أنه بعدما أنزلني من الشاحنة مضى مسرعاً دون أن أتمكن من قول شكراً، رغم أننا أمضينا معاً عدة أيام على الطريق. ربما ذهب مسرعاً ليفرغ حمولة شاحنته. وكنت أحتاج أن أرتاح قليلاً قبل أن أتوجه للجامعة للتسجيل للدراسة.

بدأت تجوالي باستكشاف منطقة ويست وود، وخاصة الشوارع المحيطة بالجامعة، فتجولت قليلاً في الشارع الرئيسي هيلجارد أفينو شرق الجامعة، ثم سن ست بوليفارد في الشمال، وأخيراً لو كونتي في الجنوب. ويا له من مجمع ضخم فقد أرهقني السير وأنا أطوف حوله. لقد استغرق الطواف ساعات وساعات. كان من أجمل المناطق التي شاهدتها في حياتي، فلم أشعر بمرور الوقت وأنا أتجول في هذه المنطقة.

قطعت مسافات طويلة مشياً على الأقدام متجولاً في شوارع ويست وود. وعند عودتي إلى منطقة الحرم الجامعي كنت منهكاً منهار القوى جراء التوتر والسير الطويل. يقع المجمع على بعد مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام من الفصول الدراسية والمختبرات والمكتبات والمرافق الرياضية،

لكنني لم أشعر بالراحة والحرية داخل هذا المجمع فقد كنت أرغب السكن خارجه لأحصل على عمل بدوام جزئي يوفر لي بعض المال، وفي الوقت نفسه أتمكن من مراقبة نشاط هذه المنظمات ومجموعات العصابات التي استحوذت على اهتمامي وشدتني إليها بأكثر من توقي للدراسة والتحصيل.

لم أجد أي مكان قريب أقضي فيه ليلتي الأولى فنمت في العراء. ومن المدهشات أن الشرطة لم تأت لتوقظني وتطردني مثلما تفعل مع المشردين في هذه المنطقة، رغم أن مظهري كان قريباً من مظهرهم بينما المنطقة التي حول الجامعة منطقة راقية جداً ولا يوجد بها الكثير من المشردين.

وفي صباح اليوم التالي ذهبت لأحد المتاجر القريبة لشراء بعض أغراضي، فرأيت لوحة علقت عليها إعلانات كثيرة، ولاحظت إعلاناً مكتوباً بخط اليد عن غرفة للإيجار بسعر زهيد جداً، فلم أصدق عيني، لأن العنوان لا يبعد كثيراً عن المجمع السكني، والمنازل هنا جميلة. انتزعت ورقة الإعلان وأخذتها معي لتدلني على ذلك العنوان. وهرعت إليه كأن أحداً يسابقني ليحصل عليه قبلي. وحين وصلت طرقت الباب ولم يفتح أحد فطرقت مرة أخرى، وانتظرت بضع دقائق، ولكن لم يفتح أحد. فأحسست بخيبة الأمل وهممت بتمزيق ورقة الإعلان والانصراف، لكني قلت لنفسي ربما لا يوجد أحد في المسكن الآن فالأوفق أن أعود لاحقاً. وحين استدرت

وهممت بالانصراف سمعت وقع خطوات قادمة نحو الباب فاستدرت نحوه حين نظر أحدهم من العين السحرية للباب ليتمكن من رؤيتي ورفعت ورقة الإعلان ليراها. وإذا بالباب يفتح وقد توارت سيدة عجوز خلفه. وحين رأتني أحمل ورقة الإعلان في يدي أبرق وجهها بابتسامة وقالت:

- أنت هو إذاً؟ وبما أنك نزعت ورقة الإعلان من المتجر فأنت شديد الثقة أنك ستحصل على الغرفة.

كان هذا التعليق مفاجئاً لي فلم أنتبه لهذا الأمر حين انتزعت هذه الورقة من لوحة الإعلانات. دعتني للدخول فاستجبت وأخبرتها أنني انتزعت الإعلان دون تفكير وكان حرياً بي أن أنقله في ورقة وأترك الإعلان في موضعه.

قالت:

- أنت جديد هنا؟
- نعم أنا طالب جئت للدراسة هنا في لوس أنجلوس.
- من أي البلاد جئت؟
- من المملكة العربية السعودية.
- تعال أريك الغرفة.
- كم تكلفة الإيجار؟

- غير مهم. وطالما أنت طالب فمؤكد أنك لا تملك الكثير من المال. هات ما تقدر عليه.

كان هذا أمراً مفاجئاً لي. وسرعان ما اتفقنا على السعر. وبعد ذلك قالت لي:

- لو أنك قلت إنك لا تملك المال لوهبتك الغرفة بلا مقابل، فأنت هدية من الرب لي. أتعرف لماذا؟ لقد دعوت الرب أن يأتي عندي شاب مثل (مهمود) فاستجاب لي، وأرجو أن تكون مثله.

قلت لها: من هو (محمود)؟

قالت:

- شاب عربي. هو مثلك. أقام في هذه الغرفة منذ سنتين ثم سافر إلى بلاده وبقيت الغرفة فارغة منذ ذلك الوقت. كان مثل ابني، بل هو أفضل من ابني.

- قلت لها:

- معقول هذا؟ أفضل من ابنك؟ لا بد أنه كان شاباً حسن الأخلاق جيد المعاملة.

قالت:

- كان بالنسبة لي مثل ابني، بل كان تعويضاً عن ابني (جيمي). لم يزرني (جيمي) منذ خمسة أعوام رغم أنه يقيم في سان فرانسيسكو، لم

يهاتفني أبداً. أما (مهمود) فقد كان يتفقدني كل يوم قبل أن يذهب للجامعة صباحاً، وأحياناً يصنع لي القهوة، وفي المساء حينما يعود لا يصعد إلى غرفته قبل أن يتأكد أني بخير وأني تناولت الدواء وفي بعض الأحيان يشاركني مشاهدة بعض برامج التلفاز.

صمتت فترة ثم ضحكت قائلة:

- ما اسمك؟ وبالمناسبة اسمي (مادلين).

أخبرتها باسمي فقالت:

- تعرف يا (هومر) لو أنك لم تدفع أي نقود لقبلت أن أمنحك الغرفة. حين كتبت الإعلان لم أكن أريد المال، بل كنت أريد أن أحس بحركة أحدهم هنا في البيت معي، فقد بقيت أعيش وحدي منذ وفاة زوجي وذهاب (مهمود)، وها هو الرب لم يخيب أملي فأرسلك لي بديلاً عنه ليمنح البيت حياة.

قالت لي:

- تعرف ماذا يا (هومر)؟ لقد قررت الآن ألا أمنحك الغرفة التي كان يقيم فيها (مهمود)، وبدلاً من هذا سأمنحك غرفة ابني (جيمي).

قلت لها:

- ولم ذلك؟

قالت:

- أريد أن أحس أن ابني (جيمي) ما يزال معنا في البيت حين أسمع حركتك في غرفته!

قلت لنفسي: يا الله لقلوب هؤلاء الأمهات. كيف يحببن أبناءهن هكذا! وبالمقابل يا لعقوق الأبناء تجاه أمهاتهم. فهذا الابن العاق لم يكلف نفسه عناء اتصال واحد بأمه طوال هذه السنوات الخمس!

أخذتني إلى غرفة (جيمي) التي تركها منذ أعوام عديدة. كان كل شيء في مكانه وكأنه تركه بالأمس. مكتبه ومكتبته، وخزانة ملابسه، وأحذيته، ومضرب البيسبول، وقبعاته ومعطفه والمظلة الواقية من المطر. كانت صوره تملأ حائط غرفته ومعها صور بعض المشاهير وفتيات هوليود. لكن أكثر شيء يميز غرفته هو اعتناؤه بصوره الشخصية، فقد علق العشرات منها على الجدران وهي تحكي قصة حياته منذ أن كان طفلاً. وبعضها له منفرداً، وصور أخرى له مع أصدقائه، وصوره مع أمه وأبيه. كان بعضها موضوعاً على مكتبه بعناية. لاحظت أن الصور الأخيرة له بعدما كبر تشير إلى أنه شاب ممتلىء نضارة، فهو يتميز بعينين واسعتين وجبهة عريضة، وشعر أشقر لماع مائل للصفرة، وفوق حاجبه الأيمن أثر جرح عميق غائر معقوف مثل مخلب النسر يبدأ كبيراً في أحد طرفيه ثم ينتهي رقيقاً في الطرف الآخر. قلت لنفسي ترى ما الذي أحدث هذا

الجرح فشوه وجه هذا الفتي؟ وهل أخلاقه مشوهة مثل جبينه؟ لكنني قلت لنفسي أيضاً إنك لا تعرف ما الذي حال بينه وبين التواصل مع أمه، والأمر لا يهمك ولا يعنيك في شيء، فعليك بخاصة نفسك. نقلت أمتعتي القليلة إلى هذه الغرفة بالمسكن الجديد، واجتهدت ألا أمس أي شيء من مقتنيات هذا الفتى العاق.

بقيت أذهب للجامعة مشياً كل صباح، فالمكان غير بعيد. أكملت التسجيل وحصلت على الكتب والدفاتر والمراجع، وباشرت العمل في مختبرات الحاسب الآلي، ثم حصلت على جهاز حاسب آلي شخصي من شركة أبل للحاسبات الآلية، فكانت هذه مفاجأة كبيرة في حياتي في هذه المدينة لم أكن أحلم بها. كانت شركة أبل تهتم بطلاب التقنية فتمنحهم أجهزة مجانية مقابل إعداد بعض البرامج.

الجهاز الذي حصلت عليه يدعم النصوص الصغيرة وشاشة سعة ٨٠ عمودًا، بالإضافة إلى ذاكرة وصول عشوائي كاملة بسعة ٦٤ كيلو بايت. كانت المنافسة قد اشتدت بين هذه الشركة وشركة آي بي إم التي أطلقت جهاز الحاسب الآلي الشخصي المنافس لشركة أبل، وذلك في الثاني عشر من أغسطس من العام الماضي ١٩٨١، وعندما أحست شركة أبل بالخطر القادم استعانت بطلاب التقنية لمساعدتها على التفوق على منافستها التي كانت متخصصة في إنتاج الحاسبات الكبيرة والعملاقة، فبقيت أبل تعمل

سرًا على تطوير ثلاثة أنواع جديدة لتكون جاهزة للإصدار في غضون عام، وهي أجهزة أبل ليزا وديانا وماكنتوش. وبذلك فهي محتاجة للعديد من البرمجيات والتطبيقات في كافة المجالات، وإلا فسوف تخسر المنافسة، لأن حياة الأجهزة ونجاحها يعتمد على وفرة التطبيقات والبرمجيات المتوافقة مع بيئاتها وأنظمة تشغيلها.

كان للشركة مندوبون في كليات التقنية، واهتمام كبير بالطلاب المتفوقين – وكنت أحدهم – وكنا قبل ذلك نجتمع كل أربعاء لتبادل البرامج بعد أن نخزنها في أقراص، فيذهب الواحد منا إلى اللقاء الأسبوعي المسمى (مجموعات أبل المتخصصة)، فكان الأعضاء يتجمعون لقراءة وتبادل مجلات الحاسب الآلي، مثل (كمبيوتست) و(نيبل) وغيرها الكثير، وكذا تبادل الأقراص والحوارات حول تقنيات الحوسبة ومجالاتها واستخداماتها. وفي أثناء ذلك يحتسون الكثير من الجعة (البيرة)، في حين كنت أكتفي باحتساء القهوة المجانية التي توفرها الشركة. وفي أحد تلك اللقاءات تقدمت مني إحدى الفتيات وعرفتني على نفسها فقالت إن اسمها (إلين بيتري)، وأنها تخرجت للتو من جامعة سان دايجو بكاليفورنيا، وتعمل موظفة بشركة أبل في مجال التسويق والتطوير، وأنها تطوف أنحاء كاليفورنيا، خاصة الجامعات وكليات التقنية، لتوظيف التقنيات البازغة والطلاب الموهوبين. وقد لفت انتباهها حرصي على

حضور اللقاءات الأسبوعية، وكوني ناشطاً في مجال كتابة البرمجيات، فقد لاحظَت أنني كنت آتي كل أسبوع بتطبيق جديد أو أكثر، يتنافس أعضاء المجموعة في الحصول على نسخ منه. وحين رأت أنني بارع في كتابة البرمجيات قررت أن تقدم لي عرضاً للتعاون معهم.

قلت لها:

- إنني ما زلت طالب ماجستير وأنوي دراسة الدكتوراة

قالت:

- إننا لا نعرض عليك وظيفة بالشركة، فسوف تكون مجرد متعاون معنا، حيث يمكنك الاستمرار في تطوير البرمجيات وتبادلها مع مستخدمي أجهزتنا، فذلك يضمن نجاح الأجهزة الجديدة التي تنوي الشركة إدخالها للخدمة.

قلت لها:

- هذا ما أقوم بفعله الآن كما ترين، لكنني لا أملك حاسباً شخصياً فأنا أستخدم مختبرات الحاسب الآلي بالكلية فأمضي الأوقات الطويلة هناك.

قالت:

- لن تكون هذه مشكلة فسوف أقترح على الشركة أن تمنحك جهازاً بالمجان، فهو نوع من الاستثمار.

كان عرضاً مغرياً قبلته على الفور، فأنا لن أخسر شيئاً وتطوير البرمجيات هو هوايتي المفضلة.

وفي الأسبوع التالي حين انعقد لقاء المجموعة اقتربت (إلين) مني، ودار بيني وبينها حوار طويل، قالت فيه إنها عرضت الفكرة على إدارة الشركة فتحمسوا للأمر جداً، وأنها أصبحت مهووسة بفكرة إشراك مجتمع المستخدمين، لأن ذلك من شأنه أن يطور العمل، ويساعد على نجاح الشركة مقابل منافسيها الجدد. وأنها سوف تسعى لربط المستخدمين بشبكة (أربانت) لتبادل الآراء والأفكار والمقترحات. ثم طلبت مني العمل معها ومساعدتها تقنياً لتحقيق ذلك الأمر فوافقت.

لم أصدق حين وصلني الجهاز عبر البريد بعد أقل من أسبوع ومعه رسالة ممهورة بتوقيع رئيس الشركة. وبذلك بدأت مرحلة جديدة في حياتي.

لكنني رغم كل شيء بقيت عندي الرغبة في التعرف على مجتمع العصابات ومافيا لوس أنجلوس، فلم تشغلني عنها الدراسة ولا عالم الرقميات والحوسبة، ولا الانفجار المعلوماتي الكبير، والتحول في عالم الحوسبة الشخصية التي انتشرت هنا كالنار في الهشيم وأصبح الجميع مفتوناً بها.

قررت أن أرتدي ملابس مشرد متسول، وأتجول في الشوارع لاستكشاف العصابات. سألت نفسي من أين أحصل على ملابس المشردين، فجاء

الحل سريعاً. لقد رأيت أن السيدة (مادلين) صاحبة المنزل الذي استأجرت فيه الغرفة تحتفظ بملابس زوجها الراحل في قبو المنزل. أخبرتني يوماً حينما كانت تحكي خيبة أملها في ابنها (جيمي) أنه أخذ ملابس والده وألقى بها في قبو المنزل، قبل أن ينتقل للعمل والعيش في سان فرانسيسكو، وذلك منذ خمس سنوات. وهذه المرأة العجوز (مادلين) لم أرها تنزل للقبو أبداً، لذا قررتُ استخدام ملابس زوجها، فنزلت للقبو واستعرت بعض أسمال الزوج المتوفى، فوضعتها داخل حقيبة الظهر، وبقيت حين أخرج إلى الشارع الجانبي أخلع ملابسي فأضعها داخل الحقيبة، ثم أرتدي تلك الأسمال بدلاً منها فأبدو مثل المشردين.

حين بدأت أتجول بملابس التسول كان البعض يمنحونني دولارات، أو طعاماً، وآخرون يحتقرونني، فهم يظنونني مدمن مخدرات، وأن سبب تسولي هو الحصول على المال لإنفاقه في تلك السموم، وذلك لكوني ما زلت شاباً في مقتبل العمر.

المتسولون والمشردون الحقيقيون في المنطقة شعروا بالمنافسة لأنهم ظنوا أني سوف أقتسم معهم رزقهم اليومي، فكانوا ينظرون لي بغيظ، ثم بفضول بعدما رأوا أنني لم أكن حريصاً على النقود، وأنني بدوت مثل معتوه يتجول في المنطقة بغير هدف، فلم يكونوا يدركون مقصدي من هذا

التسول والتجوال، ولهذا لم يعودوا يهتمون كثيراً للأمر. لكنني لم أتوقف عن ممارسة سلوك المشردين، فقد اكتشفت عالماً جديداً مدهشاً هو مجتمعات الذين بلا مأوى، فهم يعيشون حياة بائسة في شوارع لوس أنجلوس. قلت لنفسي هذه فرصة للتعرف على حقيقة الغرب الأمريكي. لوس أنجلوس مدينة جميلة في ظاهرها، ويسكنها عدد كبير من الأغنياء، لكن باطنها قبيح بائس ومظلم. كنت أجلس في ركن الشارع حين قصدني متشرد في الأربعين من عمره. تعرفت عليه وشاركته وجبتي التي كنت أتناولها في الشارع، وسرعان ما استأنس وأخذ يحكى لي قصته فقال:

- اسمي (خوزي بلانكو) وأنا من فنزويلا. كنت أعمل سائق سيارة أجرة هناك في مدينتي. ولكن عندما كنت أذهب إلى المتجر لشراء الطعام، لا أجد أي طعام على الإطلاق فالأرفف خاوية. وعندما يأتي الطعام، عليك أن تقف في طابور طويل جدًا، لأنهم سيبيعونك منتجًا واحدًا فقط. وفي بعض الأحيان تقف في الطابور، ثم لا تتمكن من شراء أي شيء لأن المعروض يكون قد نفد وبيع كله. أضف إلى ذلك أنه لم يكن هناك وقود في فنزويلا فتوقفت عن العمل سائقاً. لذلك ذهبت إلى بيرو لبضع سنوات. وهناك علمت أن الكثير من الأصدقاء يتسللون إلى الولايات المتحدة فشغل ذلك تفكيري. وعندما سنحت لي الفرصة قلت: "حسنًا، فلنذهب إلى الولايات المتحدة". وها أنا ذا

مشرد بلا عمل، وأتسول الطعام في الولايات المتحدة. تباً لهذا. سوف أخبرك كيف وصلت إلى هنا. لقد أقمت في الأحراش لمدة ثمانية أيام، ومعي ابني ذي الثلاث سنوات، وابنتي ذات الست سنوات. نمنا في الغابة في خيمة على ضفة النهر. ونفد طعامنا فاكتفينا بالفاكهة المتساقطة من الأشجار، وشرب الماء من النهر. لقد سرقوني في نيكاراغوا. لكن في هندوراس، أشفق أحدهم عليَّ فأعطاني مئتين وسبعين دولارًا عندما رأى معي ابني وابنتي، فساعدني ذلك على الوصول إلى غواتيمالا، لأنه لم يكن لديَّ أي أموال حينما قابلنا. وعندما دخلنا أمريكا احتجزونا لمدة ثمانية أيام. كان الطعام فظيعًا مثل الهامبرغر من ماكدونالدز، لكنه طعام قديم يكون قد مضى على صنعه وطهيه بضعة أيام. وعندما ترغب في قضاء الحاجة فالمرحاض موجود في منتصف المكان، حيث يراك الجميع عندما تتعرى لقضاء حاجتك. وعند الوصول جعلوني أتخلص من كل شيء جلبته معي. لقد سلمت نفسي مثل السجين. أعطوني زياً رسمياً أرتديه مثل زي المساجين وكذلك ابني، وابنتي أيضا. كل ما بقي بحوزتنا هو المستندات. لم أفكر أين سأعيش. لقد أردت فقط الوصول إلى الولايات المتحدة. ثم هربت وتركت لهم ابني وابنتي وجئت إلى هنا لأجد لنفسي عملاً.

قلت له:

- يا رجل كيف تترك أطفالك للحكومة وتتخلى عنهم بهذه السهولة؟

قال لي:

- لا تخف عليهم، فسوف يعتنون بهم ويمنحونهم تعليماً لائقاً ومسكناً. أما أنا فلست مكترثاً لما سوف يحدث لي. أنا بلا أمل في هذه الحياة.

قلت له:

- أنت رجل بلا قلب. لا أحد يتخلى عن أبنائه!

سكت ولم يجب! فأدركت عمق مأساة هؤلاء البشر المهاجرين.

في اليوم التالي للتشرد تعرفت على (تاليد) وهو شاب أسمر. حكى لي عن حياته. هؤلاء المشردون يبتهجون حينما يجدون من يستمع إليهم.

قال لي:

- لا أعرف عدد المرات التي بقيت فيها بلا مأوى، وليس لدي أي فكرة عما حدث في المرة الأولى، حين وجدت نفسي مع أمي في الشارع، فقد كنت يومها في الثالثة أو الخامسة من عمري. لقد بقيت بلا مأوى ربما خمس مرات على الأقل حتى الآن. كنا نتعرض دائمًا للسرقة في منزلنا، أو يتم طردنا لعدم قدرتنا على دفع الإيجار، ولم تكن أمي تعرف إلى أين تذهب. أما في هذه المرة الأخيرة فبعد موت أمي أردنا

أنا وصديقتي الذهاب إلى كولورادو للعمل في مصنع للحوم البقر. كان المصنع يقع في أعماق المجهول في منطقة نائية عن العمران. لكنهم وفروا لنا السفر إليه مجانًا، وقالوا إنهم سيمنحوننا تكلفة الانتقال والإقامة في فندق لمدة ثلاثين يومًا، وبعد ذلك سنحتاج إلى العثور على مكان للإقامة مستقلين بأنفسنا. إلا أن شيئاً من هذا كله لم يحدث.

بقيت أعمل لهم في نوبات لمدة اثني عشر ساعة كل يوم. لقد جعلوني أدفع البراميل، وأقطع اللحم الميت، وأرش السوائل لتطهير الحظائر. كانت رؤية الأبقار تُساق إلى المذبح تفطر قلبي. فقد كانت تلك الأبقار تعرف أنهم سوف يذبحونها، فكانت تنظر إليّ بأعين ملؤها الخوف. لقد فطر ذلك قلبي وكان أحد أسباب هربي من ذلك المكان اللعين.

عندما عملنا في كولورادو كانت الليالي شديدة البرد، فكنا نرتدي كل ما بحوزتنا من ملابس. كنت أرتدي أربع أو خمس طبقات منها، لكني بقيت رغم ذلك أشعر بالبرد لأنني كنت مصابًا بفقر الدم. أتذكر محاولتي النوم في إحدى محطات الحافلات، ثم بعد قليل جاءت الشرطة وقالوا لي: "لا يمكنك النوم هنا. استيقظ. تجول. اشرب وتناول طعاماً وحاول العثور على مكان للذهاب إلى الحمام.

لكن لا تنم هنا".

ثم عثر علينا زوجان مسنان فأخذانا إلى الكنيسة، وحصلت الكنيسة على تذاكر لنا للعودة إلى لوس أنجلوس. لقد شعرت بالارتياح، ولكن عندما نزلنا من الحافلة، لم يرغب أحد في مساعدتنا، لذلك بقينا في الشوارع. وكما ترى الآن فالجو بارد جداً، ولو لم تكن صديقتي بجانبي للتأكد من أنني بخير في كل مرة، فربما كنت سأركع على ركبتي وأستلقي هناك حيث وجدتنا. لقد انتهى بنا الأمر بالتسرب من ذلك المصنع البغيض بعد ثلاثة أشهر من العذاب ثم العودة إلى لوس أنجلوس، وها نحن نتجول في الشوارع بأمتعتنا أنا وصديقتي، التي غالباً ما تتخلى عني للبحث عن صديق يملك المال. إنها فتاة ولها مستقبل كما تعلم. أما أنا فلا مستقبل لي. إنني مصاب بالأنيميا يا رجل.

بقيت أتعرف على مجتمع المشردين والمتسولين الذين هم بلا مأوى لكن ذهني كان مشغولاً باكتشاف عصابات الشوارع ومافيا المخدرات ومجتمع الجريمة. وفي أثناء ذلك رأيت تلك الفتاة (آنا). كانت تمشي وحيدة منكسة الرأس، ويداها متربعتان حول صدرها طوال الوقت، وكأنما اجتمعت عليها هموم العالم كله. كانت تبدو أكبر من سنها، رغم أنها في العشرين من العمر. لم تكن تحمل أي متاع أو حقيبة على ظهرها كما

تفعل الفتيات هنا.

جلست على المقعد العام بجواري فسألتها عن قصتها وسبب بقائها مشردة بلا مأوى، فقالت إنها كانت قد تلقت بعض الدروس والتدريبات لرعاية المسنين، ثم ذهبت للعيش والعمل لدى امرأة تبلغ من العمر ثلاثاً وتسعين عامًا في جبال سانتا كروز في كاليفورنيا. قالت:

- كنت أعيش في تالنت أوريجون فتخليت عن مكان إقامتي ووضعت جميع أغراضي في منشأة للتخزين قبل أن أذهب للعمل لرعاية تلك المرأة ثم حدثت حرائق في غابات كاليفورنيا، وفي عدة أماكن وذلك في العام الماضي فاحترق منزل تلك المرأة في سانتا كروز. كنت يومها قد ذهبت في زيارة سريعة إلى أوريغون وبعد أسبوعين علمت بأمر حريق الغابات. ثم اتصلت بتلك المرأة المسؤولة عن منشأة التخزين للسؤال عن أمتعتي فقالت: لقد ذهب كل شيء واحترق. لم يكن لديَّ منزل، ولذا لم يتم تعويضي عن أي شيء. قالوا إنني "متضررة بسبب الحريق، لكن لا يوجد تأمين لأمتعتي" لذلك لم أتلق أي مساعدة. لكن في وحدة التخزين تلك التي احترقت كنت أحتفظ بكتاباتي، وبعض أعمال السيراميك، والأثاث الخشبي، ووثائق مهمة، وكل الصور التي التقطتها خلال جميع أيام حياتي. لقد ضاع كل شيء.

كانت محاولة العثور على مكان قريب مستحيلة تقريبًا. لم يكن لدىَّ المال. وكان هناك ألفان وثلاثمائة عائلة أخرى أو أكثر تحاول أن تفعل الشيء نفسه. لذلك انتقلت من حالة مؤقتة إلى أخرى. إن التشرد هو تماماً مثل تلك النار التي لاحقتنا وأحرقت كل ما نملكه، إنه الآن يطاردنا. لقد اضطررت إلى النوم في سيارتي قبل أن أبيعها لأشتري بثمنها ملابس الشتاء، وخيمة أنصبها في العراء فأنا لا أملك المال. لقد أقمت مع أصدقائي، ولنكن واقعيين. إن أصدقاءك قد يستضيفونك يوماً أو يومين، ولكنهم لن يطيقوا إقامتك الدائمة معهم. وها أنا ذي في الشارع.

في البداية، أقمت مع امرأة كانت لديها غرفة في منزل للمتضررين من الحريق. لقد سمحت لي بالبقاء معها في غرفتها المستأجرة، ولكني لم أكن أعلم أنها لم تكن تملك المال لدفع الإيجار ويبدو أنها كانت تظن أنني أملك بعض المال لمساعدتها، وأنا بدوري لم أسألها عن وضعها المادي، لكن بعد أحد عشر يومًا، طرق المالك بابنا في الساعة الثالثة صباحًا وقال: "أريدكم أن تخرجوا من هنا الآن". كان ثملاً وكنا خائفتين. وانتهى بنا الأمر في الشارع أنا وهي. كانت غاضبة فتركتني ومضت ولا أعلم أين هي الآن. إنني حزينة. لقد سببت لها

المشكلات. لقد كانت تعتمد عليَّ فخذلتها فقد كانت تظن أنني أملك المال.

كان هناك متشرد آخر سمع حوارنا فاقترب وجلس. قال لنا إن اسمه (دونالد) وهو قد تجاوز الأربعين من عمره. وحين سمع قصة الفتاة تشجع وأخذ يحكي قصة حياته. قال:

- كان ذلك في عام ١٩٧٩ حين كنت في أواخر الثلاثينيات من عمري. لقد توفيت والدتي، وبعد ذلك لم يكن لدي الكثير من الأمان لأنها اعتنت بي حين كنت شاباً، فكنت أشعر بالأمان، لكن بعد موتها تغير كل شيء. لم أكن أدفع أي فواتير في حياتي، لذلك بعد موتها لم أعرف ماذا أفعل. لقد تورطت بالفعل في المخدرات ظاناً أنها ستخرجني من الإحباط والحزن الذي أحس به. لكنني بالإدمان فقدت كل ما كان لي. ولم يكن أحد من أفراد عائلتي يريدني معهم، فأنا مدمن مخدرات. لذلك وجدت نفسي في الشارع. إنها حياة صعبة. لكنني تكيفت بسرعة كبيرة رغم ذلك، لأنه كان عليَّ البقاء على قيد الحياة. ولأنني أتعاطى فقد وجدت نفسي بلا عمل ولا مأوى ولا نقود. بدأت بيع الماريجوانا والحبوب المخدرة لأكسب بعض المال الذي أنفقه أحيانًا مقابل غرفة للاستحمام والراحة، أو الحصول على وجبة. ربما لم تكن وجبة من أربعة أطباق، لكنها كانت شيئًا يجعلني أستمر.

لم أمارس السرقة أو النهب، لكنني بقيت أخرج من السجن ذهابًا وإيابًا بسبب بيع المخدرات.

كنت أذهب إلى التاجر الذي أتعامل معه فأستلم البضاعة ثم أتوجه مباشرة إلى ذلك الركن الذي أمارس البيع منه. وحين يغلبني الإدمان أذهب خلف مبنى أو شيء من هذا القبيل، وأقوم بعملي المعتاد [تعاطي المخدرات] ثم أعود مباشرة إلى المكان الذي كنت أبيع فيه. كنت أجلس هناك وأنتظر أن يأتي الناس لشراء بعض ما عندي، أو أتمشى على الرصيف ذهابًا وإيابًا. وفي بعض الأيام، أتعاطى وأستلقي في مكاني ولا أستيقظ حتى لبيع المخدرات؛ فقط أستلقي في أي حديقة عامة طوال اليوم. وبعد الاستيقاظ أذهب إلى مرحاض ماكدونالدز أو برجر كينج لأغسل وجهي وأنظف أسناني. لكن بالنسبة للاستحمام، كنت أنتظر حتى أصل إلى مكان يمكنني فيه الاستحمام لأنني لم أرغب في إفساد حمام أحد. عدم القدرة على الاعتناء بنفسك، هو أمر صعب. أعتقد أن هذا هو سبب استخدامي لأطقم الأسنان الآن كما تعلمون، دون الاعتناء بأسناني. وتسألني أين أنام؟ من الممكن أن أبقى مستيقظًا ليلتين أو ثلاث ليالٍ، ثم أذهب إلى منزل أحد الأصدقاء وأبقى على أريكته لبضع ساعات. لا أستطع البقاء هناك طوال الليل، فأذهب حتى لا يبقى

صديقي متضايقاً فيرفضني في المرة القادمة. أحياناً أستأجر غرفة في فندق أو نزل وأستحم مرة واحدة في الأسبوع. لقد نمت في كل مكان: في المنازل المهجورة، ومدرجات الكنيسة، والمقاعد العامة، والسيارات المهجورة. عادةً ما أستخدم بعض الورق المقوى، إذا وجدته، فأضعه على الأرض حتى لا يتسخ لحافي كثيرًا ثم أستلقي فوقه. أنت تعلم أنه يوجد هنا في هذه المنطقة عدد قليل من أماكن بيع الأثاث التي تلقي ببقايا الورق المقوى الكبير، الذي تغلف به الثلاجات الكبيرة وغير ذلك من الأثاث وهذا يكفي لاتخاذه فراشاً أستلقي عليه. وفي حال عدم الحصول على الورق المقوى بالحجم الكبير أحصل على ورق بمقاسات أصغر فأجمعها معًا، وأصنع فراشاً، أو أتخذها وسادة، فلا يمكنني النوم على الخرسانة الصلبة. المشردون يتعرضون للسرقة دائماً. وحتى الورق المقوى تتم سرقته دائمًا، أو يأتي عمال نظافة الشوارع فيضعونه في عرباتهم. وكذلك عندما أذهب إلى السجن أخسر كل شيء بحوزتي.

لقد دخلت السجن ست مرات. وفي كل مرة تتكرر نفس دورة الأحداث والأشياء. أخرج من السجن ثم لا أجد مكاناً أذهب إليه. لذلك فلا خيار عندي سوى العودة مباشرة إلى بيع المخدرات والنوم حيثما أستطيع. كونك مجرمًا مدانًا هو أمر صعب حقًا. أنت ترغب

في الحصول على وظيفة، لكن لا يمكنك العمل في الحكومة، أو الفنادق الراقية، أو المطاعم، أو الكثير من الأماكن. هذه مدينة غنية، ويقومون بفحص الخلفية لكل وظيفة تتقدم إليها تقريبًا.

لقد علمت عندما كنت في السجن عن مشروع اجتماعي تقوم به الجامعة هنا. إنهم يعملون مع الأشخاص المسجونين سابقًا. لقد أعطوني بطاقة عنوان اختصاصي الحالة، واتصلت به، فجاء على الفور. عندما خرجت من السجن، فعل كل شيء من أجلي. اشترى لي طعاماً وملابس. أحضرني إلى منزل أقاموه لهذا المشروع فأصبح عندي سقف فوق رأسي. وجدت نفسي مع عدد من الرجال الذين لا يتعاطون المخدرات ومعظمهم من كبار السن. حاولت مجتهداً أن أتبع خطاهم. بدا الأمر كما لو أنه مستقر جيد بالنسبة لي. لكنني في كل مرة أكون فيها بمفردي أخرج من هناك، وأعرف ما كنت سأفعله. سأذهب خلف المبنى وأحاول بيع المخدرات ثم أنتشي. إنه إدمان وعملية متكررة لا يمكنني التخلي عنها حيث يتعين على أن أتناولها يومًا بعد يوم.

لقد سمعت العديد من القصص المفجعة التي تفطر القلب. حدثني بها أولئك المشردون. وحينما منحتهم أذناً صاغية أحبوني وتقبلوني فرداً منهم فلم يعودوا يضايقونني. وعندما كانوا يسألونني عن قصة تشردي لم أشأ

أن أكذب عليهم فكنت أعدهم أن أقصها عليهم في وقت آخر، أو أغير موضوع الحوار.

لكنني كنت مشغولاً بأولئك الذين يرتدون الزي الأحمر. كنت ممتلئاً شغفاً للتعرف على أفراد العصابة من بينهم، فبقيت أراقب طريقة سيرهم وتسكعهم في أركان الشوارع واستخدامهم للرموز والإشارات في التواصل بينهم. وبينما كنت أبحث عنهم في الشوارع كانوا يجمعون المعلومات عني في الكلية ولم أكن أعلم. فقد تبينت ذلك لاحقا.

❊❊❊

إخوة الدم

في اليوم التالي تجولت في شوارع لوس أنجلوس بحثاً عن عصابة إخوة الدم (بلودز) التي سمعت عنها كثيراً من شباب عصابة المحاربين. (ديسيبتيكون) أخبروني حين كنت في بروكلين نيويورك أن هذه العصابة هي من أقوى المجموعات في الغرب الأمريكي، وتتكون من أعضاء ذوي أصول أفريقية، وأنها تأسست بادئ ذي بدء في لوس أنجلوس. إنهم معروفون على نطاق واسع بمنافستهم الشديدة مع عائلة عصابة كريبس. قالوا لي إنك لن تبحث طويلاً حتى تعثر عليهم أو يعثروا عليك. قلت لهم وكيف أتعرف عليهم؟ فقالوا لي إنك لن تخطيء التعرف عليهم بمجرد رؤيتهم فهم يلبسون الألوان الحمراء (لون الدم) ولا يخفون ذلك، وكثيرون منهم يربطون عصابة حمراء على رؤوسهم ويرسمون وشماً يرمز للعصابة على سواعدهم ويكتبون شعاراتهم على الجدران، بينما ترتدي عصابة كريبس ملابس ذات لون أزرق.

بقيت أنظر إلى كل شاب ذي ملابس حمراء وكل فتاة ترتدي اللون الأحمر. رأيت كثيرين يلبسون هذا اللون حتى خيل إلى أن لوس أنجلوس جميعها

تنتمي لهذه العصابة، لكنني كنت مخطئاً. إلا أنني واصلت الطواف في مظان تواجدهم، وبقيت أنظر إلى الوشم على الأيدي والسواعد.

وفي حين يحرص الطلاب القادمون للدراسة في لوس أنجلوس على التعرف على مباني الجامعة والمكتبات والمعالم الثقافية والحضارية مثل هوليود، كنت حريصاً على الغوص في حياة ومجتمعات عصابات أركان الشوارع. والتعرف على أسرارهم وطريقة تواصلهم باستخدام الأرقام والرموز، ولذا طفت الحواري والأحياء في أرجاء المدينة.

لقد كنت شاباً متهوراً وممتلئاً بالإثارة المجنونة والجرأة وحب المغامرة دون أن أخشى العواقب. لكنني في الوقت نفسه بقيت حذراً حتى لا يظنوا أنني أنتمي لشرطة لوس أنجلوس أو مكتب التحقيقات أو أنني أنتمي لعصابة (كرِبْس) المنافسة التي هي العدو اللدود لعصابة الدم، فهم يحتقرونها كثيراً لدرجة أنهم كانوا يقومون بكشط الحرف الأول من اسمها أو استبداله بحرف آخر احتقاراً لهذه العصابة. وكانت (إيزيس) قد حدثتني عنها فقالت إنها سمعت أنه في سبعينيات هذا القرن العشرين وتحديداً في عام ١٩٧٢، حدث خلاف وصراع بين عصابة كريبس من كومبتون، وبيروس مما أحدث دوياً في لوس أنجلوس. كان عدد بيروس قليلاً، ولهذا فقد كسبت كريبس المعركة. فعزمت بيروس على تصعيد الصراع والمواجهة ضد كريبس فلجأوا إلى عصابة أخرى تدعى (بريم) للحصول

على الدعم وقاموا بدعوتها إلى اجتماع في شارع بيرو. وكانت عائلة كريبس قد قتلت أحد أفراد عائلة بريم في وقت سابق من ذلك العام، ولهذا طلبت بيروس من بريم حضور الاجتماع. وهناك ناقشوا كيفية مكافحة عدوان كريبس إضافة إلى تكوين تحالف لهذا الأمر وقد أدى ذلك إلى ما يطلق عليه عصابة الدم.

(إيزيس) كانت تعرف الكثير عن هذه العصابات بحكم كونها الزعيمة فأخبرتني أن الجميع يعلم أن التنافس بين هاتين العصابتين كان قديماً منذ أواخر الستينيات عندما هاجم (ريموند واشنطن) وآخرون من كريبس (سيلفستر سكوت) و(بنسون أوينز)، الطالبين في مدرسة سينتينيال الثانوية في كومبتون، كاليفورنيا. وردًا على ذلك، قام (سيلفستر) بتشكيل مجموعة أطلق عليها (بيرو ستريت بويز) أو أولاد شارع بيرو، التي أصبحت أول عصابة من عصابات الدم (بلودز). قام (بنسون أوينز) بعد ذلك بتأسيس عصابة بيرو الغربية (ويست بيرو). والمدهش أنه تم تشكيلها في البداية لتوفير الحماية للأعضاء من عصابة كريبس، ولكن العصابات غير التابعة لكريبس كانت تطلق على بعضها البعض اسم (عصابة الدم) أيضاً.

نزلت للتجول في شوارع لوس أنجلوس، وقررت التزام الحذر والحيطة عملاً بنصيحة (خليل) فهذه العصابات شديدة العنف خاصة تجاه

خصومهم، فلو ظنت أي منها مجرد ظن أنني أنتمي للعصابة المنافسة فسوف يكون مصيري مظلماً.

من خلال حواراتي السابقة مع (إيزيس) حين سألتها عن عصابات الغرب الأمريكي حدثتني عنهم باقتضاب، فقد كانت تنوي ألا أصل إلى هناك بأي حال من الأحوال. لقد كانت تخطط لأن نبقى معاً إلى الأبد، وأن أتولى زعامة عصابة المحاربين من الذكور. أخبرتني باختصار أين يتواجد أفراد عصابة الدم في لوس أنجلوس. قالت لي إنهم عائلات كبيرة ومجموعات كثيرة فلا تهتم لأمرهم. ثم تأكد لي ذلك حين طالعت بحثاً منشوراً عن عالم الجريمة والعصابات في مدينة لوس أنجلوس، وجدته في مكتبة الجامعة. لقد أمضى الباحث سنوات من عمره يراقب عصابات لوس أنجلوس ويدرس نشاطها. سعيت لمقابلته بعد أيام من وصولي للمدينة بعد أن علمت أنه يعمل في نفس الجامعة. أخبرته بأنني طالعت بحثه، وأن لي اهتماماً بهذا المجال فساعدني كثيراً بالمزيد من المعلومات. قال لي:

- لا يمكنني أن أنشر مقار هذه العصابات، ولكنني سأخبرك بها بصفة شخصية على أن تحتفظ بالمعلومات لنفسك فقط من قبيل العلم بالشيء ولا الجهل به. عليك أن تستخدم هذه المعلومات لحماية وتأمين نفسك.

قلت:

- موافق

قال:

- إن عصابة الدم تتكون من فصائل وعائلات كثيرة متعددة، وأخطرها على الإطلاق فصيل (جنقل) أو الأدغال، وهم يتبعون لقسم أو مجموعة بلاك بي ستونز الذين ينتمون لتحالف عصابة الدم في لوس أنجلوس. هذه العصابة تمارس القتل والاعتداءات والسطو والعمل في المخدرات والأسلحة النارية.

لقد كانوا في الأصل قسمين منفصلين في لوس أنجلوس، هما مجموعة عصابة الدم بمنطقة سيتي ستون، في منطقة وسط المدينة ومرتفعات أرلينغتون، ومجموعة عصابة الدم بمنطقة الأدغال المسماة (جنقل ستون بلودز)، في المنطقة التي كانت تُعرف سابقًا باسم (الأدغال) وهي قرية بالدوين، في الجانب الغربي من جنوب وسط لوس أنجلوس. وعلى الرغم من أن مساحة هذه القرية أقل من ميل مربع تقريباً إلا أنه يسكنها ما بين٧٠٠ إلى ٨٠٠ فرد من أعضاء العصابة.

- سمعت أن كثيرين منهم من أصول أفريقية.
- هذا مؤكد! فعلى سبيل المثال فإن (باونتي هنترز واتس) (صائدي الجوائز من واتس) هم من ذوي الأصول الأفريقية ويتواجدون في

مجمع مشاريع الإسكان العام داخل حدائق نيكرسون في واتس، ويشكل المجمع غالبية أراضيهم. وجميعهم مسلحون وخطرون. هذه العصابة هي الأكبر من بين عصابات الشوارع ذات الأصل الأفريقي. لن تصدق أن عضويتها تجاوزت الألفي شخص، وهي تنقسم إلى العديد من المجموعات الفرعية والوحدات، ويمكنك أن تعرف أعضاء العصابة فهم يرسمون الوشم على سواعدهم وهي تحمل الحرفين "B" و"H" اللذين يشيران اختصاراً لاسم العصابة "Bounty Hunters" أي صائدي الجوائز، ومن المعروف أن أعضاءها هم من الصبية طلاب مدرسة سينتينيال الثانوية في كومبتون. وبعضهم انتقل إلى الجامعة. وبالإضافة إلى عدائها مع عصابة كريبس بمنطقة جريب ستريت واتس، من المعروف أيضًا أن العصابة تتنازع مع عصابة منطقة ويست سايد بيرو، التي يقع مقرها في كومبتون القريبة من الساحل الشرقي من المدينة.

وبعدما أخبرني بهذه المعلومات قال لي:

- إنني أزودك بهذه المعلومات على مسؤوليتك، وأنصحك ألا تشير إلى مصدرها بأي حال من الأحوال، أو من أين حصلت على المعلومات وإلا أوقعتني في المتاعب.
- أعدك بذلك!

- أثق بك، ولكني أنصحك أيضاً بالابتعاد عن هذه العصابات فهي لن تتورع عن إيذائك أو حتى اغتيالك لو أحسوا أنك تشكل خطراً عليهم، أو لو شكوا أنك تنتمي للشرطة. والأخطر من ذلك لو شكوا أنك تنتمي لعصابة أخرى منافسة. ولكن لماذا تجمع هذه المعلومات يا صديقي؟
- فقط يدفعني الفضول وحب المعرفة!

قال ضاحكاً:

- إنك لن تستفيد من أي من هذه المعلومات إلا إن كنت تعمل مع المخابرات أو الشرطة، وأنا أشك في ذلك فأنت غريب وجديد هنا. وعليك أن تعلم أن هذه البلاد خطرة بما يكفي.
- يا سيدي أنا مجرد طالب وباحث!
- إذاً فعليك أن تنصرف للدراسة والتحصيل والبحث في مجالك فأمامك الكثير لتنجزه وأنت ما تزال في مقتبل العمر.

كانت هذه معلومات مفيدة نبهتني إلى مفاتيح هذا العالم المرعب. فقد كنت على وشك أن أدخل عالم عصابات المراهقين الذين يمضون حياتهم في القتال والعراك من أجل ترويج المخدرات والنهب والسرقة، وحتى القتل لأتفه الأسباب. إنه عالم مغلق وخطر. عالم يرتدي فيه هؤلاء المراهقون أقنعة الشيطان ويرفعون رايات القراصنة ويحتفظون

بقصاصات الصحف المليئة بدعوات حضور الجنائز والمآتم. عالم حين يتعرض الفرد فيه لإطلاق النار على صدره يركض حتى يصل المستشفى وهو مصاب، بينما يقوم آخر وسط تبادل إطلاق النيران باستخدام صديقته كدرع بشري. عالم يتم فيه اختطاف هؤلاء المراهقين وتعذيبهم واحتجازهم مقابل مئات الآلاف من الدولارات لإطلاق سراحهم. وصبية في سن المراهقة يقلد الواحد منهم موسيقى الأفلام كخلفية حين يباشر القتل. إنه العالم الذي يتم فيه قرع الرؤوس بمطارق الحديد وكرات ومضارب البيسبول دون شفقة أو رحمة. إنه عالم عصابات الدم والسحل وقطع الأصابع والألسن ونزع الأسنان. هؤلاء صبية تمزقت عوائلهم وتفرق آباؤهم عن أمهاتهم، فنشأوا في الطرقات والشوارع، ورضعوا البؤس، والحرمان، واليتم، والضياع. إنهم غاضبون من واقعهم ومجتمعهم ومن أنفسهم ومن كل شيء حولهم. لقد مسخت حياة الشوارع فطرتهم فأصبحوا مثل الضباع، تبحث عن طرائدها في كل مكان، فإذا ظفرت بها جردتها من لحمها وهشمت عظامها. يكفي أن تضع مسدساً في يد أحد هؤلاء ثم تهمس له بكلمة (الدم)، وهو سينجز المهمة كاملة. لا تظنوا أني أبالغ ففي مرحلة من المراحل كنت قريباً من مجموعة منهم في منطقة كومبتون وكانوا يتحاورون فيما بينهم ولم ينتبهوا

إلى أنني كنت قريباً منهم جداً فسمعتهم يبررون للقتل بدم بارد، همهم أحدهم قائلاً:

- (آر وي لامبين تونايت؟ Are we lampin tonight? أي: هل سنتسكع تحت ضوء مصباح الشارع الليلة؟

فهمت لاحقاً أن التسكع تحت ضوء مصباح الشارع، حيث تباع المخدرات هو عادة ما يفعله هؤلاء الفتيان، فهذا هو مجالهم، ومنطقتهم.

في تلك الأثناء كان أحدهم يستنشق مادة مخدرة، فبعدما تعاطاها قال لهم:

- اليوم سوف أقتل أحدهم!

وسمعته البقية فتحمسوا للأمر. قال أحدهم:

- هل هناك سبب محدد؟

قال:

- فقط لمجرد متعة القتل.

كنت أظنهم يمزحون، لكن تأكدت بما لا يدع مجالاً للشك أن المزح هو آخر شيء يفكرون فيه. أردف قائلاً:

- سأضيفه لقائمة مقتنياتي!

سأله آخر:

- للانتقام منه أو لأنه قال شيئاً أو تفوه بكلام خاطئ؟

- إطلاقاً! فقط لأني لا أرتاح له.

- تقصد أنه قلل من احترامك؟

- ....

قال أحدهم:

- لا ألومك يا رجل. أما أنا فلو نظر إليَّ أحدهم نظرة ساخرة فهذا سبب كاف لقتله.

قال ثالث:

- لو سألني: من أين أنت؟ أو لأنه يلبس اللون الخطأ (الأزرق) فسأقتله.

أضاف رابع:

- لو شككت أنه ربما يلحق الأذى بأحد أفراد عائلتي فهو مقتول بلا شك.

وهنا استفاض جمعهم كل يدلي بدلوه:

- من أجل المال!

- أما أنا فيمكنني أن أقتل أحدهم لأحصل على جرعة منشط!

- فقط لأنه اختلف معي في الرأي!

- للحصول على سيارته أو دراجته!

- لأنه حاول الحصول على فتاتي!

- لأنه جاسوس في منطقتي!

- للدفاع عن النفس!
- لطريقة مشيه!
- إذا كان لديه شيء أحتاجه ولم يمنحني إياه!
- لو قال لي يا قرد أو يا زنجي!
- لأنه حاول الاستيلاء على طعامي بأن أخذ شريحة من شرائح البطاطا المقلية!
- فقط للتسلية!

شعرت بقشعريرة الخوف والرعب فغادرت المكان. هؤلاء الفتية لا يمزحون. إنهم قتلة بامتياز، ومحترفون.

توقعت أنهم لم ينتبهوا لوجودي قريباً منهم، فرغم حرصي الشديد إلا أن ما كنت أخافه وأتحاشاه قد حدث لي بالفعل. وقد يكون الحذر الزائد هو ما جعلهم يشكون في هذا الأسمر النحيف الذي يطلق شعر رأسه غزيراً ويتجول في مناطق نفوذهم، ويتلفت يمنة ويسرة باحثاً عن شيء وكأنه أحد أعضاء عصابة كريبس أو هو مخبر لمكتب التحقيقات. كنت حريصاً ألا أرتدي أياً من اللونين الأحمر أو الأزرق حتى لا ألفت الأنظار. قررت الابتعاد عن تلك المجموعة الخطرة التي ضمت هؤلاء الصبية مدمني المخدرات. وعندما أخذت أسير مبتعداً كان هناك ثلاثة منهم يمشون بجانب الطريق ويضعون أيديهم في جيوبهم. ثم جاءت سيارة مسرعة

فوقفت فجأة بجانبي، وانقض هؤلاء الثلاثة عليَّ بثقلهم، ثم وجدت نفسي داخل السيارة التي انطلقت بنا وقد وضع أحدهم شفرة حادة على عنقي. هل هذه أحداث فلم من أفلام الرعب والجريمة أم أن ما يحدث لي هو حقيقة؟

وجدت نفسي في المقعد الخلفي للسيارة وأحدهم عن يميني وآخر عن يساري وقد أخفضا رأسي بقوة ناحية أرضية السيارة حتى لا أرى الوجوه ولا أدري أين يذهبان بي، وكدت أختنق من ثقل يديهما على عنقي، بينما ركب الثالث بجوار السائق. ثم وضع أحدهم عصابة سوداء على عيني وأحكم هذان الاثنان الضغط على جسدي النحيل فبقيت أتنفس بصعوبة بالغة. بقيت أحس بدوران السيارة وانعطافها يميناً ويساراً نحواً من عشر دقائق قبل أن تتوقف ويتم إنزالي بعنف ثم دفعي بقوة من الخلف. وبعدما أدخلوني مبنى أجلسوني على مقعد أو شيء ما. وسمعت صوت أحدهم:

- من أنت؟ ولا تكذب فأنت لست مضطراً لذلك.

كان هذا صوتاً مختلفاً عن الأصوات التي بقيت أسمعها في السيارة. لا بد أنه الزعيم أو نحواً من ذلك.

- أنا (أوم)! وأنا طالب هنا

- هل أنت عضو في كريبس؟

- أنا جديد هنا في لوس أنجلوس. وصلت منذ بضعة أيام فقط ولا

أعرف ما هي كريبس هذه التي تتحدث عنها.

- ولماذا تتسكع هنا؟

- مجرد فضول للتعرف على لوس أنجلوس. ولكن من أنتم؟ هل أنتم شرطة أو نحو ذلك؟ وهل ما قمت به جريمة؟ التجول في الشارع؟

سمعت ضحكات ساخرة. فلم يبدأوا في إيذائي بعد. لا بد أنهم سيقررون ما يفعلونه بي على ضوء إجاباتي. كان الأدرينالين يتدفق بقوة في جسدي فبقيت متحفزاً.

- أنا فقط من يحق له طرح الأسئلة. هل تفهم؟

- نعم. أفهم، ولكن من أنتم؟

- قلت لك أنا فقط من يطرح الأسئلة.

- حسناً.. حسناً.

- كيف نتأكد من صدق كلامك؟ أين هي بطاقتك؟ هل أنت شرطي لعين؟

فتشوا جيوبي وأخرجوا جواز سفري من معطفي. سمعت غمغمة خافتة فلا بد أن أحدهم يتحدث مع هذا الزعيم. ثم نزعوا العصابة من عيني. كانوا مجرد مراهقين أصغر مني سناً. كان أحدهم ضخماً أسمر اللون كثير الوشم على وجهه وساعديه، يقف على مسافة مني ويحمل جواز سفري في يده. لا بد أنه أخذه من جيب معطفي. ويبدو أن هذا المراهق ذا الوشم

هو الزعيم. يا للسخرية. مصيري الآن بيد صبية مراهقين يحمل أحدهم مسدساً وآخر يحمل شفرة حادة. أخذ ذو الوشم يقلب صفحات جواز السفر في يديه فرأى الصفحة التي تحمل صورتي وتلك التي بها التأشيرة وختم المغادرة من الجوازات بالسعودية. كان الختم بالعربية فبادرني قائلاً:

- بأي لغة هذا الختم؟

كان واضحاً أن هذه أول مرة يرى فيها اللغة العربية.

- العربية!

- إذاً فأنت عربي لعين؟ لا توجد جمال هنا لتركبها أيها العربي الأحمق. عد إلى بلادك.

قال آخر:

- عربي؟ لابد أنه يملك المال الكثير.

- أنا من أفريقيا وكنت أدرس في العربية السعودية وهذا ختم المغادرة من مطار الرياض.

سري عنه قليلاً حين ذكرت أنني من أفريقيا.

- أفريقي؟ ماذا تفعل هنا في لوس أنجلوس يا فتى أفريقيا؟

- أنا هنا للدراسة.

- حقاً؟ أين؟

- جامعة كاليفورنيا.

- ماذا ستدرس؟
- نظم المعلومات وتقنياتها.

تركوني وحدي قليلاً، وسمعتهم يتحدثون بأصوات منخفضة، فلابد أنهم ابتعدوا قليلاً ليقرروا ما سوف يفعلونه بي. لم أعد خائفاً ولا قلقاً، فحينما ذكرت لهم أنني من أفريقيا ربما تأكدوا أنني لا أنتمي لأي عصابة، وأنني صادق فيما أخبرتهم به. لقد أنقذني لوني الأسمر وانتمائي لأفريقيا من براثنهم. يا للسخرية.

سمعت أصوات أقدامهم وهم يغادرون، بينما بقي معي شخص واحد نزع العصابة عن عيني وأعاد لي جواز السفر، وتركني جالساً على ذلك المقعد ثم خرج. نظرت حولي فرأيت أننا في بناية مهجورة، وأن الجميع غادروا بسيارتهم التي جاءوا بها ما عدا ذلك الشاب. قلت لنفسي ربما بقي معي ليدلني على طريق العودة. ولكن ما هذا الغباء؟ ولماذا يكشف عن هويته، فلو اتصلت بالشرطة وقبضوا عليه فربما يدلهم على العصابة التي اختطفتني. لكني أيقنت أن ما حدث لي كان بمثابة اختبار ولم يكن نوعاً من الشك، فلابد أن هذه العصابة تعرف عني بعض المعلومات وأرادوا أن يستيقنوا منها ومني. تأكدت من ذلك حين بدا ذلك الشاب لطيفاً معي. أخبرني أنه يدرس في نفس الجامعة. قلت له إنني جئت للتحضير

للماجستير. سألني ما إذا كنت أحتاج للمساعدة. أخبرني أن اسمه (بوب) وقال لي:

- سوف أراك في الجامعة يا فتى.

أخبرني أين يمكنني أن أراه بعد ذلك. ثم تركني ومضى. فتبعته لأعرف أين أنا، لكنه لاحظ ذلك فعاد وقال لي:

- لا تتبعني من فضلك. وعليك أن تعرف طريق العودة وحدك. من الأفضل ألا يراك أحد تسير معي حتى لا يؤذونك. لن أشرح لك كثيراً وستعرف فيما بعد.

تبين أنني أبعد مسافة غير قليلة عن الشارع الذي أخذوني منه. كانت المنطقة عبارة عن مجموعة من المستودعات القديمة المهجورة، وبعضها متهدم، والشوارع خالية من المارة والسيارات، والمنطقة كلها أشبه بمدينة أشباح.

كنت أسأل نفسي طوال الطريق لماذا قاموا باختطافي، فالعصابات لا تفعل ذلك إلا إذا توفرت لديها أدلة كافية على تورط شخص في عمل يهدد نشاطهم. وأنا لم أتورط في أي عمل، بل كنت أتجول في المنطقة. هذا كل ما هنالك لا أكثر. ثم قلت ربما يكون الشك في انتمائي لخصومهم كافياً لاختطافي، فكل منظمة لديها مناطق نفوذها ونشاطها، ولذا فتعتبر كل دخيل منافس عدواً لها لا تتورع عن اختطافه أو التنكيل به. لكن هؤلاء

الذين قاموا باختطافي شباب مراهقون، وجميعهم أصغر مني سناً ما عدا (بوب). قلت لنفسي إن ما فعلوه يدل على عدم النضج أو أن هذا مجرد عمل احترازي تحسباً فيما لو كنت سأشكل عليهم خطراً عليهم.

❊❊❊

الرجل الغامض

عدت إلى غرفتي منفعلاً ومتحفزاً للمزيد من المغامرة. لم يردعني أنني وقعت هذه المرة ضحية للاختطاف. بل تعاظم الفضول بين جوانحي ونفسي التي أصبحت تجيش بالتحدي لهذا العالم الغريب المرعب. عالم عصابات الشوارع ومافيا المراهقين في الغرب الأمريكي المتوحش. لقد عشت طفولة صعبة ومراهقة حمقاء في بلادي. كانت التحديات تستفزني فألقي بنفسي في مهالكها، وأخوض غمارها غير هياب ولا وجل. لقد خضت الكثير من المغامرات التي تركت آثارها في جسدي، لكنني خرجت منها بقلب مثل قلب الأسد، وبروح متوثبة مجنونة. والآن أنا أكثر عناداً واندفاعاً، فقد أصبحت حياة الشوارع والعصابات والمنظمات تستحوذ على تفكيري وتشغلني عما حولي. والسبب هو ذلك المارد العملاق الذي فاجأني على حين غفلة فسلبني أموالي وظن أنه بذلك قد أذلني أو نال من كرامتي وأنه فاز بالغنيمة. كلا. فأنا ما تعودت أن أقبل الهزيمة أبداً. وقد قبلت التحدي.

لقد كنت – وما زلت – متفوقاً في دراستي. ولذلك لم يشغلني النشاط

خارج بيئة التعليم عن التفوق الأكاديمي. ففي جميع المراحل الدراسية كانت المسافة بيني وبين أقراني وزملائي كبيرة – ولا فخر – وبقيت محافظاً عليها. لم أكن أدون المحاضرات ولا أستذكر الدروس، بل كنت أكتفي بالمحاضرات ولا أتغيب عنها أبداً. وفي مرحلة البكالوريوس حين كان الطلاب يندفعون بجنون نحو لوحة نتائج الاختبارات عند نهاية كل مرحلة لمعرفة درجاتهم كنت أتنحى جانباً فأراقب ذلك الزحام من بعيد، لأنني كنت أعلم أنني متفوق، وكان اسمي دوماً ضمن قائمة عميد الكلية. والآن، وأنا أنشد الدراسات العليا هنا في هذا العالم البعيد فليس لي معارف ولا أصدقاء إلا صديقي (خليل) وهو اليوم على ساحل الأطلنطي، بينما أنا في ساحل المحيط الهادئ. وأما (إيزيس) تلك الفتاة القاتلة المحترفة (ذا هت جيرل) فلا تصلح أن تكون صديقة لي، رغم تعاطفها معي. لقد ساعدتني تكفيراً عما ارتكبته من فظائع في حياتها. وهي التي لفتت نظري وانتباهي بقوة لعالم العصابات هذا الذي لم أكن أعرف عنه شيئاً لولا وجودها في حياتي في تلك اللحظات العصيبة التي مرت بي هناك في مرتفعات بروكلين. لقد أدخلتني إلى عالم جديد وخطر، لكنني تركتها ومضيت نحو المجهول، فأنا شديد العناد، محب للمغامرة، ولذا بقيت أمضي وقتي بين قاعات الدرس ومختبرات الحاسب الآلي ثم التسكع في الشوارع مع المشردين، وقد عاهدت نفسي أن أغزو هذا العالم

الجديد وأسبر أغواره أو أسقط دونه. كان ذلك هو حديث النفس في تلك الليلة. نمت بعده راضياً مطمئناً.

وفي صباح اليوم التالي استيقظت العجوز (مادلين) على سماع صوتي مدندناً وكانت قد تعودت سماع قراءتي في صلاة الفجر رغم أنني كنت أخفض صوتي، وكانت تسمع أذكار الصباح أحياناً، لكنها في هذه المرة سمعت دندنة مختلفة. حين رأتني في المطبخ أصنع القهوة قالت لي مبتسمة:

- هومر! هل أنت بخير؟

قلت لها:

- بكل تأكيد! هل هناك شيء؟

قالت:

- ما الذي سمعته منك هذا الصباح؟ هل هي صلوات أيضاً؟

ضحكت ملء فمي ثم قلت:

- أتأسف لو كنت قد أزعجتك. فلم أنتبه لارتفاع صوتي. فقط كنت أدندن.

قالت:

- هل يمكنك أن تترجم لي بعض ما كنت تقول؟ فقط القليل لأنني رأيتك تردده بحماس، فقد كانت نبرة صوتك مختلفة عن تلك

الصلوات الصباحية.

انتبهت إلى أنني كنت أرفع عقيرتي بالغناء. كنت أتغنى بحماس. لم أنتبه لماذا قفزت تلك الكلمات فجأة إلى ذاكرتي، وما العلاقة بينها وما حدث لي بالأمس؟ ترجمت لها بعض العبارات فقالت:

- هذا كلام يفيض حماسة وهو مليء برفض الظلم. فهل ظلمك أحدهم؟

استحييت أن أذكر لها ما حدث لي بالأمس فاكتفيت بابتسامة فهمت منها أنني لا أرغب في مواصلة الحديث. وبعدما احتسيت القهوة استأذنت في الذهاب للجامعة.

في المنطقة التي تقع أمام مباني الجامعة كان هناك أحد المشردين يلازم مجموعتنا ويجلس بجوارنا، ولكنه بقي صامتاً طوال الوقت. وفي حين كان البقية يثرثرون ويتحدثون كثيراً كان يكتفي بابتسامة غامضة. لم يخبرنا باسمه. مجموعة المشردين التي انضممت إليها مكونة من (خوزي بلانكو) و(تاليد) و(دونالد) والفتاة (آنا). ثم انضمت إلينا فتاة أخرى تدعى(بيكي) كانت تجلس بعيداً وتراقبنا كل يوم، لكنها لم تقترب منا ولم تطلب الانضمام إلينا، بل بقيت تراقب من بعيد ذلك المشرد الذي يلازم مجموعتنا. ولما لاحظت (آنا) ذلك دعتها لتشاركنا الطعام ذات مرة، فجاءت وانضمت إلينا فأصبحنا ستة أفراد. ووجدناها فرصة لنسألها عن

ذلك الرجل الغريب الصامت، الذي اعتبرناه عضواً معنا فقط لأنه يجلس بالقرب منا ويشاركنا الطعام والماء. وكنت قد سألت المجموعة عنه فقالوا إنهم وجدوه في ذلك المكان، فهو قد سبقهم في المجيء إلى هذه المنطقة وهو لا يغادرها أبداً، ولم يمانع وجودهم بالقرب منه، وغالباً هو أصم أبكم، لأنهم لم يسمعوه يتحدث أبداً، فهو رجل غامض. قالوا حين كنا نوجه الكلام إليه كان يكتفي بالنظر إلينا دون أن يتحدث أو يومئ بالإشارة ولا يبتسم ولا يضحك أبداً، ولكنه يكتفي بتناول الطعام معنا إذا دعوناه، ثم ينصرف فيجلس بعيداً عنا على مسافة بضعة أمتار ولا يشاركنا الحديث والسمر.

حين قالوا ذلك شككت أنه من الشرطة أو من مكتب التحقيقات الفيدرالية ويحاول إخفاء شخصيته. لكني أيقنت أن الشرطة السرية أو مكتب التحقيقات ليسوا بهذه الدرجة من الغباء، فهم سيعرضون أنفسهم للكشف وللخطر لو تصرفوا بهذه الطريقة. ثم إنه أصم أو أبكم، ولا أظن أن الشرطة أو المباحث الفيدرالية ستوظف رجلاً أصم أو أبكم للعمل في الميدان، فهو يحتاج للتواصل مع الناس عن طريق الحوار أحياناً. ولو كان ينتمي إليها فمكانه المكتب فقط. هذا الرجل يبدو عليه أنه كان رياضياً في شبابه. فهو قوي البنية، يمشي كالأسد. لا ينظر يميناً ولا يساراً، بل ينظر إلى الأرض كثيراً. لكن تبين لي أن الفتاة (بيكي) هي

الوحيدة التي تعرف بعض أسراره، وهي لا تريد أن تتحدث عنه، بل كانت تكتفي بمراقبته. قررت أن أحاول الحصول منها على بعض المعلومات المتعلقة به، فلاحظت أنها كانت دائماً حين تنظر إليه يتغير حالها إلى الغضب الشديد، وكانت تجتهد لإخفاء ذلك عنا، لكن ملامح وجهها بقيت تفضحها. حاولت أن أعرف ما يدور بينهما فقلت لها بعدما ذهب الرجل لقضاء حاجته:

- (بيكي) هل هذا الرجل صديقك؟ معذرة فقد لاحظت شيئاً غامضاً بينكما، ربما هي علاقة رغم فارق السن الكبير؟ ولاحظت أنك غاضبة منه جداً. فهل أساء إليك؟ أنا فقط أسأل لنكون على حذر منه.
- بوغتت بالسؤال، لكنها ابتسمت وقالت:
- آآ. لا لا. نعم توجد علاقة، ولكن ليس ما تظنه.
- وكيف ذلك؟
- حسناً سأخبرك ما دمت مصراً. هذا الحقير يزعم أنه هو والدي الطبيعي هل تفهم؟
- كلا لم أفهم! هل يوجد والد طبيعي وآخر اصطناعي؟
- الوالد الطبيعي هو الذي كان السبب في وجودي في الحياة.
- كلنا وجدنا من آباء بهذه الطريقة!

- سأشرح لك أيها الغبي. هنا في أمريكا كثير من الآباء يهجرون زوجاتهم أو صديقاتهم بمجرد أن يحبلن ويبحثون عن حياة جديدة، فمعظمهم لا يرغب في تحمل مسؤولية تربية الأبناء والصرف عليهم، بينما تكافح الزوجة لتوفر حياة كريمة لمولودها فتستقبل أباً جديداً ينفق عليهما ويربي هذا المولود. وأنا نشأت فوجدت رجلاً في البيت مع أمي ظننته والدي الحقيقي، رغم أنه لم يكن يظهر لي المودة أو العطف الأبوي الطبيعي. ورغم ذلك كنت أناديه يا أبي استجابة لطلب أمي، فهو زوج أمي. لكني في قرارة نفسي لم أحس بأي تقارب بيننا كأب وابنته. كنت أحس أنه يجامل أمي فقط، ولم أعلم أن والدي الحقيقي قد هجرنا ورحل وتركنا قبل أن أولد. لقد بقي ذلك الأب (زوج أمي) يعاملني بقسوة شديدة، ولا يريدني معه في البيت. كان يتضايق مني جداً لكنه يخفي مشاعره عن أمي في معظم الأحوال. وحين يثمل يعتدي على أمي بالضرب فتصاب بالكدمات، ويضربني لأتفه الأسباب، ويصفني بالغبية المتخلفة. كنت أحتمل كل ذلك من أجل أمي، لكني كنت أبكي وحدي خارج البيت. لقد أحدث ذلك الأحمق في نفسي شروخاً وجروحاً لا تلتئم، ناهيك عن الإصابات والكدمات في جسدي. وحين كبرت حاول الاعتداء عليّ جسدياً حين عاد مخموراً فقاومته. واشتبكت أمي معه فأخذ سكيناً من المطبخ

وأصابها بجرح مميت. وحين سمع الجيران الأصوات وصرخاتي ظنوا أنني أتعرض للضرب كالعادة كل يوم فلم يهتموا كثيراً للأمر. لكن لما استمرت صرخاتي العالية حين رأيت الدماء الغزيرة من صدر أمي وأنها أصبحت جثة هامدة خرجت أصيح في الشارع وأستنجد بالجيران الذين سرعان ما اتصلوا بالشرطة. وحين وصلت كان الرجل قد رحل واختفى تاركاً أمي مضرجة بدمائها. وبحثت الشرطة عنه في كل مكان لكنه اختفى ولم يعثر له على أثر حتى اليوم وكأن الأرض قد انشقت وابتلعته. هل تصدق؟

وفجأة وجدت نفسي وحيدة بعد مقتل أمي. وبالطبع أخذوني لأحد مقرات رعاية الأيتام حيث أمضيت عدة سنوات. فقدان أمي وأبي بهذه الطريقة أحدث في نفسي غضباً عظيماً لا يمكن أن تصفه الكلمات. تخيل فتاة وحيدة لا تعرف والدها الطبيعي ثم تفجع في زوج أمها، ثم تشاهد أمها تموت أمام عينيها ولا تستطيع فعل شيء. لقد غادرت مقر رعاية الأيتام في أحد الأيام بعد أن أصبحت غاضبة على هذا العالم الذي من حولي. إنها حياة لا تستحق البقاء فيها. كثيراً ما فكرت في الانتحار، لكني قررت ألا أموت قبل أن أنتقم من هذا المجتمع كله ومن قاتل أمي. ومن بعد ذلك فليفعلوا بي ما يشاءون فلا يهمني. وها أنا ذي في الشوارع أبحث عن قاتل أمي لأنتقم منه.

وهذا الرجل الذي يجلس هناك مثل القرد، هذا الذي سألتني عنه يدعي أنه والدي. أنا لا أعرفه ولا أذكره. ولو كان هو والدي الحقيقي فقد رحل قبل أن أولد. هو أبكم كما ترى لا يتكلم. وقد كتب لي على الورق أنه بحث عني بعدما علم بما أصاب أمي، وأنني في الغالب ابنته. فقلت له إنني لا أريد شفقة من أحد، وأنه من الخير له أن يبتعد عني قبل أن أقتله. لقد تخلى عني في أشد أوقات حاجتي إليه إن كان فعلاً هو والدي الحقيقي. وأنا اليوم لا أحتاج أباً ولا أريد أحداً ولا يهمني شيء.

- ما اسم هذا الرجل بالمناسبة يا (بيكي)؟
- ذكر أن اسمه (ستيوارت) ولكن لا يهمني اسمه ولا الانتساب إليه فأنا (بيكي) فقط (بيكي)!

ساد الصمت بيننا مدة طويلة فقصة الفتاة (بيكي) تفطر القلب، حتى أنها لا تريد أن تنتسب لأبيها. حاولت التخفيف عنها ومواساتها دون جدوى، فرأيت أن البقاء قريباً منها قد يعينها في مداواة جراحها بدعمها لتعيش حياة مغايرة وتستقل بنفسها، لكني لم أعرف ماذا أفعل ولا كيف أفعل. وفي الوقت نفسه بقيت محتاراً في هذا الرجل الغامض الذي يزعم أنه والدها. وسألت نفسي أين كان ولماذا تخلى عنها طوال هذه المدة ثم قرر فجأة أن يبحث عنها بعد موت أمها؟ لا يبدو عليه أنه إنسان رقيق أو

لطيف أو صاحب مشاعر. وإذاً فلا بد أن له مصلحة في العودة لهذه الفتاة أو ادعاء أنه والدها. ولا بد أن هناك سراً غامضاً وراء هذا الرجل لابد أن أعلمه.

ترويض قلب الفتاة

آليت على نفسي أن أقوم بإصلاح هذه الفتاة (بيكي)، فهي ضحية لمجتمع غير سوي، ولأسرة مفككة دفعت ثمنها هذه الفتاة البريئة التي وقع عليها الظلم. لاحظت أنها تهدر طاقتها في الاتجاه الخاطئ، فتسخرها للانتقام من والدها المزعوم ومن المجتمع حولها، بدلاً من أن توجه تلك الطاقة لتتغير، أو تعمل من أجل حياتها القادمة ومستقبلها. إنها مليئة بمشاعر مدمرة فانتهى بها الحال مشردة في الشوارع والطرقات. لقد لاحظت أنها لا تهتم بمظهرها كفتاة، بل لا تشبه الفتيات في أي شيء أصلاً، فهي غليظة في تصرفاتها وعنيفة وعدوانية في كل شيء: في كلامها وسلوكها تجاه الغير، حتى في طريقة أكلها وشربها. لقد رأيتها تأكل ثم تقذف بقايا الطعام بقوة في طريق المارة، وحين تشرب تلقي بزجاجة الماء وراء ظهرها ولا تبالي على من تقع تلك الزجاجة ولا أين تقع. لقد كانت تقضي حاجتها في العراء ولا تستتر من الناس ولا تبالي. لاحظت أن هذا الغضب المكبوت يخفي وراءه حزناً عظيماً على واقعها، وأسفاً على حياتها، وحقداً

على المجتمع من حولها. وأنها لو وجدت بعض الرعاية والاهتمام فربما تتبدل أحوالها.

بدأت أولى خطواتي لإصلاح حالها بأن قررت الحوار مع (ستيوارت) ذلك الرجل الغامض الذي يزعم أنه والدها وهي ترفضه. لقد كان يسبب لها الكثير من التوتر، فقد كان يجلس بعيداً عنا طوال اليوم ويضايقها بوجوده مما يجعلها غاضبة جداً. ذهبت إليه وجلست بجواره. أحس بوجودي بالقرب منه فتجاهلني. قدمت له تفاحة فنظر ناحيتي وتردد، ثم أخذها ولم يشكرني وعاد ينظر بعيداً منتظراً أن أغادر، ولكنني لم أفعل. حين بدأ يأكل التفاحة تعمد ألا أراه وهو يأكل، وهو أمر طبيعي، فليس من الأدب أن تنظر إلى الشخص وهو يتناول الطعام. أدار ظهره ليأكل وتوقع ألا أستدير لمواجهته، ولكنني فعلت، فلاحظت أنه يأكل وفمه مطبق تماماً ورغم ذلك يسيل اللعاب من فمه بطريقة مقززة. بقي متضايقاً مني وتوقف عن الأكل ثم ذهب إلى برميل القمامة فلفظ التفاحة من فمه ومسح فمه ثم عاد. تعمدت أن أحدق في وجهه عميقاً، وكنت أظن أنه فعل ذلك ليقول لي إنه غير مهتم ولا ممتن لصنيعي هذا، وأنه يرفض أن يأخذ طعاماً مني وأن وجودي بالقرب منه يضايقه. لكنه لما أحس بنظراتي ابتسم ابتسامة خفيفة، سرعان ما أخفاها بصرامة، ثم أخذ ورقة وقلماً وكتب لي:

- ماذا تريد؟

قلت له:

- أريد أن نكون أصدقاء!

كتب لي:

- لماذا؟

قلت له:

- لاحظت أنك تتجنب المجموعة فهل هنالك سبب معين؟ هل أنت مشرد حقيقة؟

كتب لي:

- ألا ترى أنني أتنزه هنا في هذه الفيلا الفاخرة التي أملكها؟ يا بني أنا مشرد مثلك في العراء وأعيش وأنام في الطرقات.
- إذاً لماذا تتجنب المجموعة؟
- أرغب فقط أن أبقى في حال سبيلي.
- نحن جميعنا في حال سبيلنا، ومشردون مثلك في الطرقات كما ترى، ولكننا يؤانس بعضنا بعضاً ونتعاون على مشقات الحياة.
- اذهبوا وتآنسوا بعيداً عني فلا شأن لي بكم. ثم إنك أنت لست مشرداً!

دهشت لفراسته بمعرفة أنني لست مشرداً. وقلت لنفسي كيف عرف ذلك؟ لكني تجاهلت ملاحظته وقلت له:

- ماذا بينك وبين الفتاة (بيكي)؟

أجفل حين سمع اسمها وتغير وجهه فكتب لي بسرعة:

- هل أخبرتك بشيء؟ ماذا بينك أنت وبينها؟ هل تقيمان علاقة؟

قلت له:

- هي صديقة ضمن المجموعة ويهمني أمرها مثلها مثل بقية الأصدقاء. ولا نقيم أي علاقة غير سوية. فهل صحيح أنك والدها؟

كتب لي:

- ما رأيك أنت؟

قلت له:

- لا رأي لي، فهذا أمر يخصكما أنت وهي. لكن بما أنها ضمن المجموعة فلن أسمح لك أن تؤذيها، حتى لو كنت والدها. وإن كنت حقاً والدها الحقيقي فيمكنك الذهاب وإثبات ذلك لها من واقع السجلات. وحتى لو كنت والدها فأين كنت طوال تلك المدة؟ ولماذا تخليت عنها قبل أن تولد ثم جئت الآن بعد فوات الأوان لإنقاذ ما يمكن إنقاذه؟ لا يوجد شيء لتنقذه فلم يبق من الفتاة شيء أصلاً. لقد دمرتها الأحداث والأيام والفواجع. إنها ذابلة مثل وردة ملقاة

على الطريق تدوسها المارة بالأرجل وتقذف بها الرياح ذات اليمين وذات الشمال. إن عودتك الآن لن تفيدها بشيء فأنت مشرد مثلها، ولا تملك المال ولا المأوى. وخير لك أن تخرج من حياتها إلى الأبد فأنت نفسك تحتاج من يرعاك ويهتم بك.

كتب لي:

- هل أنت مصلح اجتماعي أو شيء من هذا القبيل؟

كان تعليقا ساخراً.

قلت له ذلك ثم عدت إلى المجموعة. وانتبهت إلى أن (بيكي)كانت تراقب الأمر كله من بعيد، لكنها لم تعلم الحوار الذي دار بيننا فقد كنت أولي المجموعة ظهري حين كنت أحدثه وكان يكتب لي حواره على الورق فلم يقرأ ما كتبه أحد سواي.

اقتربت مني غاضبة وقالت:

- ماذا قلت لذلك الخنزير القبيح؟

قلت لها:

- عليك أن تتحدثي عنه باحترام فقد يكون هو والدك.

قالت:

- حقاً؟ هل تريد أن تعلمني الأخلاق؟ ثم من سمح لك أن تتحدث بالإنابة عني؟

- كيف عرفت أنني تحدثت عنك أصلاً؟
- لا توجد علاقة بينك وبينه ولا موضوع إلا الذي حدثتك عنه. لو كنت أعلم أنك بهذه الوقاحة لما حدثتك عني وعن هذا الغوريلا.
- لماذا لا تنتبهين لألفاظك المملوءة بالقذارة.
- احتفظ بألفاظك لنفسك أيها الملاك الطاهر فأنا لا أريدها ولم تنفعني شيئاً وأنا حرة في اختيار ألفاظي هل تفهم؟

أردت أن أغير الحوار فأخرجت من حقيبتي تفاحة أخرى قدمتها لها مبتسماً. أمسكت بها ثم ضربت بها الأرض بقوة فانفجرت تلك التفاحة ثم داست عليها بقدمها ونظرت نحوي بتحفز. تعمدت أن أخفي مشاعري فبدا وجهي كأنه وجه تمثال منحوت من الصخر. أدخلت يدي داخل الحقيبة فرأيت أنه توجد تفاحة واحدة أخيرة كنت أحتفظ بها لنفسي فأخرجتها وقدمتها لها وأنا أنظر بعيداً. بقيت التفاحة في يدي دقيقة كاملة، أحسست بعدها أن يدي أصبحت خفيفة فعلمت أنها أخذتها. وحين نظرت نحوها كانت قد أخذت التفاحة لكنها أدارت لي ظهرها. تحولت فجلست أمامها فرأيت دمعتين قد سالتا على خديها. كانت مطرقة تنظر إلى الأرض.

قالت لي:

- تعرف يا (أوم)؟

قلت:

- ماذا؟

قالت:

- هذه أول مرة في حياتي يعاملني أي إنسان بلطف ويحتمل حماقاتي. حتى أنني ظننت أن العالم كله لا يعرف اللطف. لن أنسى لك هذه اللحظة ما حييت.

قلت لها:

- بل أنت تبالغين كثيراً. فالعالم مليء بالإنسانية واللطف لكنك تنظرين في الاتجاه الآخر.

قالت:

- حقاً؟ أين تريدني أن أنظر؟ إلى إفريقيا مثلاً؟

رأيت ابتسامة تشرق في شفتيها فعلمت أنني قد وضعت قدمي على أولى خطوات النجاح وأنني أملك مفتاحاً لهذا القلب المعذب الذي حرم من الإنسانية.

قوانين العصابة

يبدو أن عصابة الدم (بلودز) قد قرروا بعد تمحيص أنه يجب ضمي لعضوية تنظيمهم، وذلك لكوني أجلب شيئاً جديداً للطاولة. شيئاً يحتاجونه، وهو معرفتي بالحاسب الآلي والبرمجيات. إضافة إلى أنهم أيقنوا أنني شاب جريء ومغامر ولا يتورع عن فعل أي شيء ما دام مقتنعاً به. لم يتخذوا ذلك القرار إلا بعد مراقبة عن قرب استمرت بضعة أشهر. أخبرني بذلك (بوب) رجل المعلومات في العصابة.

في إحدى الليالي عدت إلى غرفتي بعد يوم عمل طويل، ففتحت الباب وأضأت المصباح، ففوجئت بأحدهم يجلس على الكنبة الوحيدة في الغرفة. كان ينظر ناحيتي مبتسماً وقد عقد ساعديه على صدره. عرفته للتو فهو (بوب).

حين يزورك أحد أفراد العصابة ليلاً ويتسلل إلى غرفتك خلسة فذلك لأحد أمرين: إما أنهم قرروا اغتيالك فيرسلون قتلة محترفين لهذه المهام وحينها سينال منك قبل أن تعرف ما الذي أصابك ولن تتمكن من التفكير في المقاومة ناهيك عن الهرب. وأما الأمر الثاني فهو أنه يريدك في

مهمة خطرة وسرية. وأنا لست من هذا النوع الذي يتم تكليفه بالمهام الخطرة، إذ لم يمض يوم واحد فقط على تعرفي بهؤلاء الناس. وأنا متأكد أن (بوب) ليس قاتلاً. ثم إن الطريقة التي تعرفت بها عليهم لم تكن مشرفة بأي حال من الأحوال، فقد قاموا باختطافي وإذلالي وإهانتي.

قلت له:

- يا رجل كيف تمكنت من دخول غرفتي وقد أغلقتها بالمفتاح؟

قال لي هامساً:

- (أوم) هذا ليس بالأمر الصعب! لقد تسللت من الفناء الخلفي حتى لا أزعج هذه العجوز، وحتى لا تعرف عن علاقتي بك.
- حسناً.. حسناً. أنت تسللت من الفناء الخلفي. مفهوم، ولكن كيف دخلت الغرفة، وماذا تريد؟ ثم إنه لا توجد أي علاقة بيننا.
- لا تستعجل سوف تكون هناك علاقة بيننا، وستكون طويلة وممتدة. أما كيف دخلت فقد تمكنت من اللعب بقفل النافذة ورفع الزجاج للأعلى، وبذلك دخلت. سوف أعلِّمك هذه الحيلة لاحقاً. فتح الأقفال فن يا صديقي، وعليك أن تتقنه.
- والآن ماذا تريد؟
- أمر بسيط تفعله لنا مقابل قيامنا بحمايتك
- تحموننني من ماذا وممن؟

- من العصابات الأخرى، من كربس مثلاً!
- إنهم لا يشكلون أي خطر عليّ ولا يعنونني في شيء ولا أعرفهم ولا يعرفونني. أنا لست شخصاً مهماً كما تظن.
- بل إنك لا تعرف كم أنت مهم. يا رجل أنت ساحر في البرمجيات، وهذه وحدها تساوي ثروة كبيرة.
- أنا مجرد طالب جاء يدرس يا صديقي.
- اسمع يا (أوم). سوف أقدم لك باختصار العرض الذي جئت من أجله، وأنت وشأنك. إما أن تقبله فيزدهر مستقبلك...
- وإما ماذا؟ هل أفهم أن هذا تهديد؟
- اهدأ يا صديقي فأنت لم تتركني لأكمل كلامي. كنت سأقول وإما أن ترفضه فتبقى وحدك في مواجهة المجهول في هذه المنطقة الخطرة. فكر قليلاً. لا تتسرع في الإجابة.
- ما المطلوب تحديداً؟
- نحتاج شيئين: أولهما بعض البرامج التي ندير بها أعمالنا. وهذا أمر بسيط وسهل، ومتأكدون أنك تتقنه.
- والثاني؟
- أن تقوم بتدريب بعض مجموعاتنا على استخدام الحواسيب وعلى البرمجيات. ليس في هذا أي خطورة عليك. صحيح؟

- ولكن ما المقابل؟
- المال والحماية.
- حسناً سأفكر.
- فكر كما تشاء، ولكن أرجو ألا يطول تفكيرك، فالرجل الأول لا يصبر كثيراً ولم يتعود الرفض ولا يقبله. في الواقع لم يقم أي إنسان برفض عروضه فهي سخية ومحسوبة جيداً. ألا تريد أن تصبح ثرياً؟ سوف نتكفل بجميع مصروفات دراستك وترفيهك وسفرك، وكل شيء. أراك لاحقاً يا صديقي.

قال هذا ثم قفز من النافذة واختفى في الظلام. لاحظت أنه تعمد ترك ورقة على طاولتي قبل أن يقفز من النافذة. ظننته نسيها هناك، فحاولت أن أنبهه لذلك لكنه كان قد اختفى. قرأت الورقة فتبينت أنه تعمد تركها لأقرأها.

كان أول سطر فيها يقول:

"(أوم) اقرأ هذه القوانين جيداً ثم تأكد أنك أحرقتها فور الفراغ من قراءتها". علمت للتو أنني أوقعت نفسي في ورطة فهؤلاء القوم لا ينتظرون موافقتي للانضمام، بل إنهم يجعلون ذلك أمراً واقعاً لا يمكنك رفضه. إنهم لا يقبلون الرفض حقاً. كانت القوانين تقول:

١. لا تكن فأراً. فلا وشاياتٍ (يطلقون على الوشاة لقب الفئران)

٢. لا مغتصبون

٣. احترم كل عضو في العصابة بمفرده ولشخصه

٤. احترم كل الضباط الذين يصدرون الأوامر

٥. لا تتجادل أبدًا أمام المنبوذين والأغراب

٦. إياك أن تقلل من احترام الأوامر التي يصدرها الضابط أو القائد

٧. أظهر ألوانك (العلم الأحمر) أو القميص الأحمر والقبعة الحمراء، أو قطرات الدم الموشومة في جسدك حتى يتمكن الآخرون من التعرف عليك.

٨. احترم تحترم.

٩. احترم المنظمات الأخرى وبذلك يتم احترام كل عضو في كل منظمة.

١٠. لا تتكلم مع أي شخص خارج المنظمة عن أعضاء منظمتك في أي وقت من الأوقات.

١١. لا تحرم أفراد منظمتك من طبق طعام أو أي مأكولات.

١٢. لا تحمل عطف أو شفقة زملائك عليك على أنها ضعف في أي وقت من اليوم.

١٣. لا ترفض اجتماع أمسية السبت إلا إذا كنت تزور شخصاً في السجن أو عائلة في المستشفى أو تشهد جنازة.

١٤. دائماً احتفظ بعقل واع ومنتبه عند الذهاب للمحكمة أو أي مكان حولك.

١٥. كن مسؤولاً عن سلوك إخوتك وعن كل ما يمكن أن يحدث لك أو لهم.

١٦. لا تبدأ أي شجار إلا إذا كان ذلك لابد منه، لأن كل ما تقوم به ينعكس عليك وعلى جميع أفراد المنظمة.

١٧. لا تعبث بيدك وأصابعك باستخدام لغة الإشارة مع أي عضو في المنظمة لمجرد التسلية، وذلك لتجنب أي سوء فهم. الأصابع تستخدم للتفاهم ولتوصيل الرسائل فقط وليس للعب.

١٨. لا يمكننا قبول، أو حماية أي شخص، أو أي شيء، أو فعل متعلق بالمخدرات.

١٩. ضمن عقائدنا ومنظمتنا عليك أن تتذكر أن كونك عضواً بالمنظمة يأتي دائماً في المرتبة الأولى.

٢٠. كل عضو يدخل السجن أو يسافر في مهمة عليك أن تحتفظ بملابس له في منزلك أو في مساكن الطلبة إذا احتاج أن يلجأ إليك.

٢١. يجب أن يحتوي كل منزل على خزانة، فعندما يلجأ إليك أي عضو تتمكن من تزويده بالصابون، أو الطعام، أو الشامبو، أو الملابس.

٢٢. يجب أن يُظهر كل عضو نوعاً من الطاعة والاحترام للآخرين خارج منظمتنا حتى لا يتمكنوا من إطلاق الأحكام علينا بما نحن عليه أوما يمكننا تحقيقه.

٢٣. قم بتحية أخيك في كل مرة وكل يوم من السنة مع مناداته باللقب الذي يستحقه.

٢٤. لا تقلل أبدًا من احترام زميلك بأن تسلبه أو تسرق منه أو من أي شخص آخر حولك.

٢٥. كل شخص في منظمتنا يجب أن يعرف أن لدينا نظام أمني وحماية مسلحة، فإذا احتاج إليها، فيجب ألا يتردد أبدًا في طلب هذه الحماية.

قلت لنفسي: هذه القوانين في جملتها تدل على منظمة راقية. ولكن هل هذا ممكن؟ العصابات معروف عنها أنها لا تحترم الأخلاق، وأنها بعيدة عن الرقي، وتتاجر في المخدرات، وتمارس السرقة، والسحل، والقتل، وكل جريمة ممكنة، فهل هذا نوع من التعمية أم ماذا؟ إنها تعمل ضد القانون وتخرج على أعراف المجتمعات.

لم أنم ليلتها، فبقيت أفكر كثيراً. إنني أمام قرار يحدد مصيري ومستقبلي، فهل يا ترى سأنزلق لعالم العصابات والجريمة، أم أحتفظ ببراءتي وشرفي؟ لقد سعيت لهذه المواقف بنفسي. فعلت ذلك حين قبلت أن أسير مع

(إيزيس) (ذا هت) زعيمة عصابة المحاربين بروكلين. ولكن هذه الفتاة وقفت معي وساعدتني في أحلك الظروف والأحوال! ثم إنني أنا من أراد سبر أغوار عالم الجريمة والعصابات، فهل جبنت الآن وأصبحت مثل دجاجة تهرب من المخاطر؟ لست أنا من يفعل ذلك. سوف أمضي في هذه المغامرة إلى النهاية. وسوف أضع رقبتي بين فكي المقصلة، فطلاب الحاسب الآلي ونظم المعلومات هنا في هذه البلاد يتم استقطابهم عادة بواسطة المباحث المركزية، أو المباحث الفدرالية، أو زعماء العصابات. ولن يكون هناك فرق، فلو عملت مع المباحث فسأكون ضحية للعصابات ولو عملت مع العصابات فسوف يصطادني رجال القانون. رأيت أن العمل مع العصابات هو أكثر إثارة وانفتاحاً على حياة المجتمع الأمريكي، وأنا شاب يحب المغامرة، ويلقي بنفسه في أتون المخاطر، ولا يخشى شيئاً. لقد كنت أحمقاً مغروراً، وبذا قررت أن أمضي في اكتشاف عصابة الدم وليكن ما يكون. هكذا قال لي شيطاني.

بكرت في صباح اليوم التالي بالذهاب للجامعة. رآني (بوب) فغمز لي بعينه ثم مضى فتبعته. عاد ووقف بجانبي ولم ينظر ناحيتي. كان ينظر للبعيد وهو يحدثني. قلت له:

- (بوب) لماذا تفعل هذا؟ عليك أن تنظر في عيني وأنت تحدثني. هل أنت فتاة؟

قال لي:

- يا صديقي، أمامك الكثير لتتعلمه عن أساليبنا وطريقة تخاطبنا. لكن لا بأس فأنت مبتدئ. سوف أعلمك الكثير. فقد كلفوني أن أكون الضابط المسؤول عنك. اسمع يا (أوم). لن ألتقي بك كثيراً هنا في الجامعة حتى لا أثير الشكوك حولك. لكني سوف أعلمك لغة التكديس (ستاكنق) وعليك أن تتقنها. أنا متأكد أنك لن تجدها صعبة، فأنت بارع في الرياضيات ولغة الأرقام. قابلني كل يوم في الفناء الخلفي للمكتبة لتتدرب على لغة التخاطب بالإشارة.

قال هذا ثم ذهب دون أن ينظر ناحيتي. أحسست أنهم يستعجلون انضمامي إليهم قبل أن أغير رأيي، وربما قبل أن تنافسهم عصابة أخرى. قررت أن أبحث في تاريخ هذه العصابات جيداً. كنت قد علمت من واقع البحث الذي زودني به ذلك الباحث في الجامعة، ومن واقع مراقبتي، أن هناك تصنيفات لأعضاء العصابات، فهناك المراهقون الذين يتجمعون في أركان الشوارع، وهؤلاء تستغلهم العصابة لتنفيذ بعض الأعمال السريعة دون أن تضمهم إلى عضويتها، لكنهم شباب مخدوعون ومغرر بهم، فالعصابة تتكون من عائلات ووحدات فرعية مختلفة تُعرف باسم المجموعات. حاولت التقرب من هؤلاء الشباب لأصل عن طريقهم إلى

أعضاء العصابة الحقيقيين، لكن جميع محاولاتي باءت بالفشل، فهم يتجنبون الحوارات مع الغرباء، خاصة إذا تعلق الأمر بالعصابة.

أما إخوة الدم (بلودز) فهم الأكثر تنظيماً عما رأيته في عصابة المحاربين في بروكلين. فهؤلاء يؤمنون بالقتال من أجل مباديء المنظمة في جميع الأوقات، ويؤمنون أنه لا يوجد عضو في المنظمة أفضل من الآخرين، وأن كل فرد في المجموعة هو جندي "يسهم في العمل"، ويقاتل من أجل سيادة المنظمة على جميع الأعداء.

وعلى الرغم من أن تنظيمهم وهياكلهم متغيرة، إلا أنهم يعتمدون الرموز في هيكلهم التنظيمي، ويشيرون إلى عضوية منظمتهم بالأرقام بدلاً عن الأسماء. علمت ذلك حين علمني (بوب) أول درس فقال لي:

- عليك أن تعلم يا (أوم) أن لدينا تراتبيات يجب احترامها بعد فهمها، فالرقم (١٠١) يرمز للقائد ومهمته الإشراف على الجميع، وله نائب هو رقم (١٠٢) ومهمته التخطيط الاستراتيجي وتزويد القائد بالمعلومات، والقيام بمهام القائد في حال غيابه. وأما رقم (١٠٣) فهو مسؤول المعلومات ومهمته الحصول على السلاح وتزويد المنظمة به، وهو أيضاً مسؤول عن الانضباط. بينما رقم (١٠٦) هو الضابط النقيب الذي يصرف الأوامر للملازمين. ورقم (١٠٨) هو رئيس الملازمين أو الملازم الأول وهو يساعد رقم (١٠٦) ويقوم بمهام

النقيب حال غيابه. أما رقم (١٠٩) فهو الملازم الذي يتأكد أن الجنود ينفذون الأوامر التي تصدر من النقيب بينما (١١٠) هم الجنود الذين ينفذون أوامر النقباء بمقارعة الأعداء في جميع الأوقات وهكذا.

قلت له:

- هل لديكم زعيم وكيف أتعرف عليه؟

قال:

- بالطبع لدينا زعيم نطلق عليه الزعيم الأصلي (أوريجينال غانقستا)، وهو رتبة عالية، فهو الذي يضع القوانين ويعين القادة. لن يكون التعرف عليه ممكناً للمجندين الجدد. وبالمناسبة لدينا أكثر من زعيم، بل لدينا مجموعة زعماء، فهذا المنصب يمكن أن يشغله أكثر من شخص واحد، وهم في العادة الأعضاء المؤسسون للمنظمة. ولا يصل شخص لهذه الرتبة إلا بعد أن يمر بمرحلتين، ويجتاز الاختبار المتعلق بقوانين وتاريخ المنظمة. هذه المنظمة تنظر لنفسها على أنها على خطى العصابات المشهورة مثل آل كابون، وفرانك نيتي، وبيبي فيس نيلسون، هل تعرفهم؟

قلت:

- بلى بلى أعرفهم!

وفي الواقع لم أسمع عنهم إلا منه.

قال:

- إننا نقسم العضوية وفق تسلسلها إلى (دم العصابة) وهو كل عضو شهد له القائد بأنه ارتكب جريمة تنطوي على العنف (مثال طعن أو جرح شخص).
- وهناك الدم الجديد (نيو بلود) وهو كل عضو جديد. وأنت يا صديقي بعد انضمامك ستكون (نيو بلود).

قلت له:

- ما هي أعلى رتبة؟

قال:

- أعلى رتبة هي رتبة الأب الروحي (جودفازر)، ويشغلها شخص واحد فقط، ويبقى في الغالب شبحاً، لا يعرفه ولا يتواصل معه إلا القادة. حتى أنا نفسي ضابط المعلومات لا أعرف عنه شيئاً! قد يكون سياسياً أو تاجراً كبيراً. وربما يكون شخصاً اعتيادياً لا ينتمي لأي جهة، بل قد يكون شخصاً مغموراً تمر بجانبه في السوق أو في الطريق ولا تنتبه له.

في الفناء الخلفي للمكتبة علمني (بوب) شروط القبول والعضوية، وهي واحد وثلاثون شرطاً، يعتبرونها قوانين العصابة. قال لي:

- عليك أن تحفظها عن ظهر قلب، ووفق تسلسل أرقامها وهي واحد وثلاثون مادة وذلك كما يلي:

١. الدم عند الدخول. (مثلما فعلتُه مع عصابة المحاربين)
٢. أن يتم التصويت على قبولك بواسطة مجتمع المنظمة.
٣. أن يتم القفز عليك (٣١ ثانية) (كأن يتم جرحك أو ضربك أو تتجنب كل ذلك خلال هذه المدة الزمنية وذلك بالدفاع عن نفسك)
٤. أن تقوم بإنجاز عمل ما (تجرح أو تضرب شخصاً ما)
٥. لا وشايات (لا تشي بأي شخص مهما فعل)
٦. إياك أن تتكلم عن عضو الدم حال غيابه
٧. إياك أن تتحدث على الهاتف عن شئون منظمة الدم بأي كلام يمكن أن يستخدم ضدك في المحكمة
٨. إياك أن تتكلم مع أي شخص ليس عضواً في المنظمة عن شؤون المنظمة
٩. لا تخبر أي شخص خارج المنظمة برموز المنظمة أو بعضويتك.
١٠. لا تكتب أي شيء عن منظمة الدم يمكن أن يستخدم ضدك في المحكمة
١١. إياك أن تسلم أخاك في المنظمة لأي شخص أو جهة أخرى

١٢. إياك أن تقلل من احترام أي عضو في المنظمة

١٣. لا تدع أي أحمق يتحدث عن المنظمة.

١٤. دائماً قم بمساعدة أي عضو في المنظمة يحتاج إليك

١٥. احرص دائمًا على الحفاظ على قواعد اللبس الخاص بك مواكباً وعلى قدم المساواة مع إخوتك

١٦. احرص دائماً على المحافظة على صحتك

١٧. احرص على قراءة الكتب الثورية

١٨. اقرأ تاريخ بلدتك

١٩. افهم القانون

٢٠. لا تكذب

٢١. ممنوع شم واستنشاق المخدرات

٢٢. ممنوع قبول الشواذ والمثليين

٢٣. ممنوع الادعاء (لا تتصرف وكأنك تعرف شيئًا وأنت لا تعرفه)

٢٤. ممنوع مغادرة المنظمة (في حال المغادرة عليك أن تتوقع الأسوأ)

٢٥. ممنوع لبس اللون الأصفر أو الأزرق فهي ألوان تلبسها عصابات كربس المخنثين

٢٦. قم دائمًا بشطب حرف C (رمز العداء السافر لعصابة Crips) واستبدله بحرف K (Krips)

٢٧. التدخين ممنوع

٢٨. "ضع دائمًا قطرة دمعة عند ذكرى عضو العصابة الأصلي،" هذه العبارة لها عدة معانٍ وتفسيرات بحسب الموقف فقد تحتمل الإشادة بذكرى بشخص من المنظمة، فقطرة المسيل للدموع بمثابة تمثيل مرئي للحداد واحترام ذاكرته. وفي حين أن البعض قد يستخدمها ببراءة لتكريم أحد أحبائه، فقد يربطها آخرون بالانتقام للقتيل. وأيضاً من يرتكب منهم جريمة قتل يرسم وشماً للدمعة تحت عينه.

٢٩. عليك بالصيام دائمًا في اليوم الحادي والثلاثين من الشهر.

٣٠. دم الخروج! لكي تصبح عضوًا في العصابة، يجب عليك إراقة الدم، غالبًا من خلال أعمال العنف أو حتى القتل لتأكيد الالتزام والولاء للعصابة. (دم الدخول). أما (دم الخروج) فبمجرد أن تصبح جزءًا من العصابة، فإنك تظل فيها مدى الحياة. الطريقة الوحيدة لترك العصابة هي الموت. وبعبارة أخرى، فإن الالتزام قوي للغاية لدرجة أن المخرج الوحيد منها هو الموت.

٣١. الانضمام إلى العصابة يتطلب بداية عنيفة (إراقة الدم)، بينما ترك العصابة والتخلي عنها لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الموت

(خروج الدم). مما يعكس الروابط والعواقب الشديدة داخل مجتمع العصابة.

لاحظت أنها واحد وثلاثون مادة فما حكاية الرقم (٣١) هذه؟ وقد لاحظت أن الهجوم عليك لاختبارك في عصابة المحاربين يستغرق واحداً وثلاثين ثانية. نبهتني هذه الشروط إلى ما كنت أراه منقوشاً على الجدران في شوارع لوس أنجلوس، فكثيراً ما رأيت شعار العصابة مكتوباً على جدران الشوارع كما يلي:

"كثيرون يكرهوننا، وقليلون يحبوننا لكن جميع إخوة الدم يحترموننا"

أيقنت أن الأمر أصبح جاداً وخطراً ولا تراجع عنه هذه المرة. قررت أن أمضي فيه حتى النهاية وليكن ما يكون. يا لي من أحمق غبي. علمت بعد ذلك أن عصابة الدم (بلودز) يستخدمون رموزًا معينة لتمييز عصابتهم، مثل النجمة الخماسية والتاج الخماسي وكلب البولدوج. يشير الرقم خمسة إلى مجموعات الدم الخمس الأصلية، والمعروفة باسم "خمسة على قيد الحياة": وهي مجموعات العصابة المسماة بلاك بي ستون، وبيشوبس وبريمز وماد سوان وبيرو، ويرمزون لها بنجمة خماسية يحمل كل طرف منها شعاراً وهي: الجسد، الروح، الشبق، الحب، الوحدة

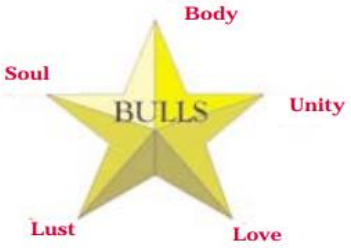

لقد كانوا يرددون هذا الشعار دائماً:

"كعائلة نحن نسعى جاهدين للتحسين. وكما تعلم، فللبقاء على قيد الحياة في هذا العالم فإنك تحتاج إلى المال، لذلك نحن نفعل الأشياء مقابل المال. نحن بحاجة إلى التعليم. أولئك القادرون على إنهاء دراستهم أو على الأقل الذهاب إلى المدرسة لمحاولة الحصول على التعليم اللازم لوظائف جيدة، يفعلون ذلك. هذا أمر جيد لأنه كما تعلم، فإننا نملأ نظام السجون بالمال والتعليم. يمكننا إنقاذ أصدقائنا والاستعانة بمحامين للدفاع عنا. يجب أن نفعله من أجل بعضنا البعض"!

قلت لبوب:

- والآن هل أصبحت عضواً معكم في العصابة؟

قال لي:

- ليس بعد يا صديقي؟
- ما الذي يمنع؟

- أمامك بضعة أشهر قبل أن يتم اعتمادك؟
- هل هناك سبب معين يا (بوب)؟
- بالتأكيد يا (أوم)، فلا يمكن انضمامك بصورة رسمية للعصابة و"التعهد" بالدم لتأكيد الالتزام إلا في اليوم الحادي والثلاثين من الشهر، وأنت تعلم أننا الآن في بداية شهر أبريل وهو ثلاثون يوماً.

قلت:

- ما حكاية الرقم (٣١) هذه يا (بوب)؟ فكل شيء عندكم مرتبط بهذا الرقم!

قال لي:

- الرقم واحد وثلاثون يشير إلى اليوم الحادي والثلاثين من الشهر، وهو اليوم الذي يتم فيه انضمام العضو للمنظمة وقبوله.

قلت:

- إذا فأنتم تنتظرون الحادي والثلاثين من شهر مايو لأنضم إليكم؟

قال ضاحكاً:

- كلاً يا صديقي. لا يمكن انضمامك في شهر مايو؟
- لماذا؟
- شهر مايو هو الشهر الوحيد الذي لا يتم فيه قبول أي عضو. أتعرف لماذا؟ لقد تم حذف هذا الشهر لاختبار مصداقية أي شخص يدعي

كذباً أنه من عصابة الدم، وبذلك يتم التعرف على الأعضاء (المزيفين). ولا يعرف هذه المعلومة إلا أعضاء العصابة فقط. فإذا طلب منك رئيسك أن تذكر متى أصبحت دمًا (بلود)، فعليك أن تذكر الشهر واليوم والسنة. وبهذا فكل من يذكر يوماً غير الحادي والثلاثين من الشهر فهو كاذب، وكل من يدعي أنه أصبح عضواً في شهر مايو فهو كاذب.

- يا لكم من أوغاد أذكياء! فلننتظر بضعة أشهر إذاً لأن الحادي والثلاثين من الشهر بعد شهر مايو لن يحين إلا في شهر يوليو القادم، فهي أربعة أشهر أخرى. وماذا سأقول حين أداء القسم؟
- سوف تؤدي قسم الولاء وأنت تحمل في يدك اليمنى علماً أحمر اللون. ثم تقول: "أتعهد بالولاء لعلمنا وللدماء المتحدة في هذه المجموعة. فليسمعوا ما نتحد من أجله، صفاً واحداً تحت قسم الدم ولكل عضو دم أن يحمل عبء أخيه".

أمضيت بضعة أشهر أخرى أتعلم لغة التخاطب بالإشارة، وأراقب حركة العصابة من بعيد. لم يقم (بوب) بتقديمي لأي فرد منهم، أو بتعريفهم عليَّ، فلم أكن قد أصبحت عضواً رسمياً بعد. لكني عرفت عنهم الكثير. تتجسد خفة حركة عصابة الدم (بلودز) في قدراتهم على شن الهجمات، وخبرتهم في استخدام شفرات الحلاقة في شوارع لوس

أنجلوس. إنهم يحملون شفرات حلاقة في جيوبهم. علمت أنهم في السجون أتقنوا تقنية إخفاء شفرات الحلاقة في أدبارهم وأفواههم، بحيث لا يستطيع موظفو السجون اكتشافها أو العثور عليها، وأنهم يستخدمون المشرط الطبي عند تنفيذ هجماتهم لجرح ضحاياهم.

أخبرني (بوب) أن العصابة لديها لغتها المشفرة للتخاطب بالأرقام والعبارات، ولديهم مصطلحاتهم الخاصة التي لا يفهمها إلا الأعضاء، وأن هذه اللغة هي طريقة لإبقاء الحديث بين الأعضاء سراً، بحيث لا تتمكن الشرطة والمباحث من فك شفرة ما يقال فعلياً بين الأعضاء. لقد اكتشفت أنهم يميزون فرد العصابة من طريقته في الرقص أيضاً، فلكل مجموعة من مجموعات العصابة طريقة محددة في تحريك الأقدام والرقص ولا يتقنها إلا أفراد العصابة، وهم يتدربون عليها كل يوم تقريباً. قال لي إن التخاطب باستخدام الرموز بدأ في السجون بين أعضاء الدم المسجونين، إلا أنهم سرعان ما نقلوها للشارع، وأنهم يقومون بتحديثها وتغييرها بشكل متكرر بناءً على ما يحدث في الشارع، فإذا اكتشف رجال الشرطة والمباحث طريقة التخاطب عن طريق استجواب المقبوض عليهم، أو باختراق العصابة تقوم العصابة بابتكار رموز مختلفة. قال لي إننا نعتمد على التخاطب بلغة الأرقام لتدل على الجمل والعبارات،

فعليك أن تحفظ كل رقم وما يدل عليه. وإذا أخطأت فقد تدخل الطرف الآخر الذي تحدثه في ورطة كبيرة فلا بد أن تبقى حذراً.

بقي (بوب) بعد ذلك يعلمني لغة التكديس باستخدام الأرقام ومعانيها واستغرق ذلك مني عدة أشهر لأحفظها، ثم نقوم بممارستها عملياً، حيث يدربني ثم يختبرني. تعودت أن أخاطبه بلغة الأرقام، فعلى سبيل المثال فإن الرقم صفر: (٠) يعني (دوق أو كلب) فيُطلق هذا اللقب على أعضاء مجموعة الدم، وهو مصطلح يستخدم للتعبير عن أخوة العصابة. وإذا أردت احتقار شخص ما فإنك تعبر عن ذلك بالرقم (٣) ويعني أنه (ماد دوق) أو كلب مجنون.

أما شعارهم الدم (بلود) الذي يكتبونه على الجدران ويشمون به أيديهم وأذرعهم ويكتبونه على قبعاتهم وقمصانهم فترمز حروفه للكلمات التالية: الدم، والحب، يتغلبان على القهر والدمار

B L O O D

Blood Love Overcomes Oppression Destruction

بقيت أمضي معظم الوقت بين مختبرات الحاسب الآلي ومجموعة المشردين، ولا أعود إلى غرفتي إلا آخر الليل لأنام فقط. لاحظت أن ذلك المشرد

الغريب (ستيوارت) يغيب عن المجموعة قبيل الغروب. ظننته أول الأمر يذهب لقضاء حاجته في مراحيض أحد المتاجر الكبيرة أو يستحم. لكني كنت مخطئاً. فقد دفعني الفضول لأن أتبعه يوماً حين غادر المجموعة من بعيد، فلم ينتبه إلى أنني كنت أتبعه. رأيته يعبر الشارع ويتوجه إلى منتزه هولمبي على بعد نصف ميل من مباني الجامعة. ذهب إلى هناك وجلس في أحد المقاعد البعيدة. وكان يحمل حقيبة على ظهره، وضعها تحت قدميه وأخرج منها منظاراً مقرباً صغير الحجم، خبأه داخل قبعته الضخمة المستقرة فوق فخذيه. كان يأخذ ذلك المنظار فينظر به في اتجاه محدد وبحذر شديد لبضع ثوان، ثم يعيد إخفاءه تحت تلك القبعة. لا بد أنه ينتظر أن يرى هناك أحداً من الناس. حين علمت هذا اختبأت خلف الشجيرات حتى لا يراني ثم بقيت أراقبه.

منتزه هولمبي واسع جداً كثير الأشجار والظلال، وبه ساحة واسعة في منتصفه تعتبر مثالية للتجمعات، وبه منطقة للعب وبه أماكن لأراجيح ومنزلقات اللعب والترفيه للأطفال، ومساحاته الخضراء المفتوحة رائعة للركض وهو مكان نظيف ومناسب بمقاعده الوفيرة ويقصده الناس في جميع الأوقات منذ الخامسة صباحاً وحتى منتصف الليل، ولذا فهو مكتظ بالناس دائماً. كثيرون يأتون إليه للعب الورق أو تنس الطاولة. وبه أماكن ومعدات للشواء، وممرات للركض تكون عادةً مزدحمة بالأشخاص

الذين يتجولون في تلك الممرات، أو يأتون للتنزه مع كلابهم. وبه حمامات ومراحيض نظيفة للجنسين. وبهذا فقد دأبت مجموعة المشردين على الذهاب لقضاء الحاجة أو للاستحمام. وبذلك تبدد شكي في تصرفات هذا الرجل حينما انتهى به المسير إلى المنتزه، ورأيت أن تتبعه لم يكن أمراً حكيماً فاستحييت مما فعلت. لكني رأيت أنه لم يقصد الحمامات لقضاء الحاجة فقد اكتفى بالجلوس على ذلك المقعد. وحين أخرج المنظار المقرب راودني الشك من جديد، فبقيت أراقب وأنتظر.

وبعد قليل ظهر من الجهة الأخرى المقابلة رجل قصير القامة مكتنز الجسم، وكأنه كرة من اللحم، وله رأس ضخم، وعنق قصير جداً، وكأنما رأسه مغروس في كتفيه، فحين تنظر إليه فإنك لا ترى عنقه أبداً، وذلك ربما لأن لحم ذقنه يتدلى ليخفي عنقه.

سرعان ما بدأ ذلك الرجل التخاطب مع (ستيوارت) بلغة الإشارة. ولما كنت قد تعلمت تلك اللغة فقد فهمت منها أنه يحييه حين رسم له الرقم صفر (٠) الذي هو التحية الرسمية لعصابة الدم (بلودز). وقبل أن أفيق من دهشتي لهذا الاكتشاف الرهيب أجابه (ستيوارت) بأن رسم له الرقم (٣١) على الهواء ومعناه: عندي بعض الحب لك. ثم أرسل الإشارة: (٩) أي ما الأمر؟

أدركت على الفور أن كلا الرجلين ينتميان للعصابة فهما يفهمان لغة بعضهما البعض!

أرسل القصير عدداً من الأرقام كتب بها جملة كاملة تقول: (حصل (كراب) السلطعون على بسكويت ويشرب حليب النحل الطنان). لقد فهمت من هذه الجملة ما يلي: (أحد أعضاء عصابة كريبس لديه مسدس وينوي قتل زعيم العصابة). كان هذا هو فحوى الرسالة كلها.

أدركت على الفور من رسالته تلك أنه غواصة داخل عصابة السلطعون (كريبس)، ولكنه يعمل لصالح عصابة الدم (بلودز). لا بد أنها رسالة خطرة وغاية في الأهمية حصل عليها مؤخراً.

سأله (ستيوارت): (٢٥) أي هل أنت متأكد؟

قال القصير: (٧) أي أعني ما أقول

قال (ستيوارت): (١٢) + (١٥) أي ابحث وتأكد.

قال القصير: (١٥) أي متأكد

قال (ستيوارت): (١٤) + (١٣) أي دعنا نستعد للقتال لنمزقه

قال القصير: (٣٨) + (٤٤) +(٩٩) أي تمهل وانتظر ولا تستعجل يا عضو الدم، (الأمر ليس سهلاً، ولكنه بالتأكيد ممتع) وهذا شعار العصابة!

قال (ستيوارت): (٥٠) أي ابق متأهباً

وهكذا انتهت المحادثة. لكنها كانت من أكبر المفاجآت لي منذ قدومي إلى هذه البلاد.

ولأول مرة أحس بالرعب مما رأيت فقد تدربت على لغة الإشارة مع (بوب) وكنت أعتبرها مجرد تسلية، وأنها لن تكون أمراً واقعاً في الحياة العملية، ولكن ها أنا ذا أراها ماثلة أمام عيني وأستطيع تفسيرها وفك رموزها.

هذه الحادثة كشفت لي الكثير من المعلومات التي تجيب عن بعض التساؤلات حول (ستيوارت) هذا الرجل الغامض، لكنها في الوقت نفسه أوجدت المزيد منها. فهذا الرجل المشرد في مظهره يتقن لغة الإشارة التي تستخدمها عصابة الدم. وبما أنه أبكم فذلك يساعده على إتقان لغة الإشارة (ستاكينق) التي تتخاطب بها هذه العصابة، بل إنه يتقنها بمهارة، فقد وجدت صعوبة أول الأمر في متابعة الحوار، رغم أني اعتقدت أني ماهر في هذه اللغة. لقد كانا يتحدثان بسرعة فائقة باستخدام هذه الرموز. والرسالة التي نقلها له القصير تدل على عزم مجموعة كريبس اغتيال زعيم عصابة الدم (بلودز). ولهذا فمن المؤكد أن هذا الرجل الغامض هو أحد القادة في منظمة عصابة الدم. وهذه المعلومة من أخطر المعلومات. إنها ببساطة تعني أن هناك حرباً قادمة.

أسرعت بالعودة إلى مجموعة المشردين قبل أن يراني فيعلم أنني كنت أتبعه. لقد أردت ألا يراوده أي شك في أني كشفت أمره. لكني حين عدت كنت مضطرباً. كنت من قبل أتساءل لم بقي هذا الرجل منعزلاً عنا ومنطوياً على نفسه. الآن فقط أدركت السر الخطر وراء هذا الأمر.

لقد علمت الكثير عن أسرار العصابة قبل أن أنضم إليها بشكل رسمي، بل علمت أكثر مما ينبغي. واحترت هل أخبر (بوب) بما رأيت؟ أم أنه ليس من الحكمة، فسوف يظن (بوب) أنني فضولي أكثر من اللازم. وقد يترتب على ذلك حرماني من عضوية العصابة، وربما معاقبتي على ما قمت به من تجسس عليهم، علماً أنني لم أكن أعلم أن (ستيوارت) هو عضو بالعصابة أصلاً.

عزمت ألا أخبر أحداً بما رأيت وسمعت، وأن أستمر في المراقبة. وحين عدت إلى الكلية في اليوم التالي لم يكن (بوب) هناك، فشرعت في القيام بواجباتي الدراسية المعتادة. لكن ما رأيته بالأمس بقي في عقلي وكياني، فكلما حاولت تناسيه تكررت أحداثه أمام عيني، وكأني أشاهد أحد أفلام السينما. وحينما عاد (بوب) للمختبر قررت ألا أخبره بما رأيت، وواصلت عملي معه كالمعتاد، فلم أكن قد انضممت للعصابة بصفة رسمية، وبذا لا شأن لي بما يحدث داخل العصابة، ولو حدثته بما رأيته فهذه وشاية، ومخالفة لقوانينهم.

عملنا أنا و(بوب) لمدة شهر كامل على اختراع جهاز استقبال، يعترض المكالمات الهاتفية لعصابة كريبس ويحفظها داخل الشريحة. فعلنا ذلك لمعرفة مخططات تلك العصابة ومخابئ معامل تحضير المخدرات ومخابئ الأسلحة. لقد كان عملاً خطراً لكني كنت أقوم بالجزء التقني منه فقط داخل المختبر ولا أستخدمه في الواقع العملي. لقد كان (بوب) بارعاً في صناعة الإلكترونيات، بينما كنت أبرع في برمجة تلك الشرائح. أخطر ما في هذا العمل هو أننا بدأناه في مختبرات الجامعة عبر مشروع بحثي بريء في ظاهره لكنه عبارة عن مشروعين في مشروع واحد. فالمشروع الظاهر الذي ننفذه ضمن واجباتنا الدراسية هو برمجة شريحة مصغرة وربطها بنظام قياس الترددات وحفظ تلك الترددات، بينما الآخر الخفي هو لاعتراض ترددات البث لأرقام هواتف ثابتة معلومة فقد صنعنا نسختين من هذا الجهاز كان (بوب) يتولى تحضير شريحتيهما وكنت أقوم ببرمجتهما. الخطورة هنا تكمن في أن هناك أعضاء من عصابة كريبس هم زملاء معنا في الكلية، فكانوا يأتون للمختبر ويراقبون ما يدور فقد كانوا يتوقون لتوظيف طلاب الحاسب الآلي وضمهم للعصابة، لكنهم لم يكونوا يعلمون أن (بوب) عضو في عصابة الدم، وبذا لم ينتبهوا لخطورة ما كنا نقوم به. كان الصراع محموماً بين عصابة الدم وعصابة كريبس لاستقطاب هؤلاء الطلاب، وذلك في مقابل جهود المخابرات الفيدرالية

لتوظيف طلاب التقنيات البازغة. لقد بقوا يراقبون ما أقوم به ويتظاهرون بالبراءة لكنهم يشكون في كل برنامج جديد أو جهاز أو شريحة، فقد كانوا يكثرون من الأسئلة البريئة في ظاهرها، لكنني كنت أعرف ما وراءها من أغراض غير بريئة، فكنت أتظاهر بالبراءة أيضاً، فأمنحهم إجابات تطمئنهم أن ما أقوم به من أعمال ليس بالأمر الخطر، وأن تلك الأعمال تدخل في نطاق الواجبات اليومية للطلاب، وكنت أعرض لهم الشريحة الأخرى البريئة، لكن تبين لي فيما بعد أنني كنت الساذج وكانوا هم الأذكياء.

سألت نفسي مرة: لماذا تقوم بهذه الأعمال؟ لماذا تريد أن تكتشف مجتمع الجريمة، وعصابات الدم، والأسلحة، والمخدرات ومجتمعات أولاد أركان الشوارع؟ ما الفائدة التي تعود عليك من هذا العمل؟ فهذا ليس مجتمعك، وهؤلاء القوم ليسوا أهلك ولا ناسك، فأخلاقهم ليست أخلاقك، ومشكلتهم ليست مشكلتك. ثم توسوس لي نفسي فتقول: إنك يجب أن تكون مصلحاً تزرع بذرة الخير في أنفس هؤلاء، فلا بد أنها سوف تنمو وتثمر في يوم من الأيام. إن أعتى عتاة المجرمين يحمل في جوانبه الخير وينتظر أن يشير أحدهم إليها فيقول له: إنك تملك أن تتغلب على نوازع الشر فيك، والدليل مغروس في قلبك. ثم عدت فقلت هذه حيل نفسية لتستمر في هذا الطريق الذي رسمه لك الشيطان الذي

بداخلك وزينه لك ليبدو في ظاهره طريقاً للخير والإصلاح، لكنه في حقيقته هو عين طريق الغواية والشر، ولو سلكته فحتماً سيهوي بك أسفل سافلين، وستجد أنك فريسة له، فأنت لن تستطيع وحدك أن تغير مجتمعاً غارقاً في الظلام مهما فعلت أيها الشاب المغرور. وعليك أن تكف عن هذا العمل فوراً.

وبينما كنت غارقاً في هذه الوساوس أحسست بيد توضع على كتفي فانتفضت مذعوراً، لأجد أنه مشرفي في المختبر، وقد رآني منشغلاً عن البرمجة غارقاً في التفكير.

قال لي:

- ما بك؟ ولماذا أنت متوتر هكذا؟ أنا فقط حاولت أن أعرف أين وصل مشروعك؟ هل لي بنسخة على هذا القرص من عملك لأراجعه؟

وناولني قرصاً فارغاً، فقلت له:

- إنني أقوم بالمراجعة النهائية لرموز البرمجيات، وفور الانتهاء منها سوف أقوم بعمل نسخة لك على القرص. فقط أحتاج يوماً أو يومين.

لكنني لم آخذ القرص من يده، فرمقني بنظرة توحي أنه لم يصدق ما قلته له، فقد كان يعلم أنني فرغت من اختبار الرموز لأنه بقي يراقبني عن

كثب دون أن أنتبه. ولو كنت جاداً في منحه رموز البرمجيات على القرص لفعلت ذلك على الفور. فقد كنت دائماً سخياً في توزيع رموز البرمجيات لمن يطلبها من زملائي ودون تردد، إلا في هذه المرة. ولهذا فعندما ترددت في منحه النسخة تأكدت من نظرات الشك التي ارتسمت على عينيه أنه رأى شيئاً غير اعتيادي في رموز البرمجيات، فقد كان يراقبني حين كنت أقوم ببرمجتها، والمختبر مفتوح ليس فيه ما يحول دون أن ينظر الآخرون إلى عملك. وهذا المشرف يعرف البرمجة أكثر مني بالطبع، فهو صاحب خبرة في البرمجيات، ولهذا فهو المشرف على أعمالي.

سألني فجأة:

- هل أنت بخير؟ لقد رأيتك ساهماً خلال الأيام الماضية فأنت تسرح كثيراً ولا تركز في العمل! هل يمكنني مساعدتك بأي شيء؟ حتى لو كان مشكلة شخصية؟ لا أقصد التدخل في حياتك الشخصية، ولكن يهمني أمرك.

أزعجني سؤاله فقلت على الفور:

- كلا كلا، لا شيء فأنا بخير. شكراً لك.

جمعت أغراضي وحفظت البرمجيات في القرص وأدخلته في حقيبة الظهر ثم غادرت المختبر بسرعة وتوجهت إلى المنزل. وبقيت متوتراً خلال الأيام التالية، لكنني عدت لمجموعة المشردين وواصلت مراقبة

(ستيوارت) لأعرف المزيد. ثم لاحظت أن (دونالد) قد تغيب عن المجموعة فسألت عنه ببراءة قائلا:

- أين (دونالد)؟ فلم أره اليوم!

لاحظت أن الجميع صمتوا وأخذ بعضهم ينظر إلى بعض، فعلمت أن هناك خطباً ما. قلت لهم:

- ماذا هناك يا شباب؟ ما الذي يجري؟ بالله عليكم حدثوني. أين ذهب (دونالد)؟

وبعد صمت طويل تبرع (تاليد) بالحديث فقال:

- اسمع يا (أوم) عليك أن تنسى أمر (دونالد)!
- لماذا يا صديقي؟
- سوف أصدقك القول. أنت تعلم أنه يتعامل مع تلك السموم والقذارات. هل تفهم ما أقول؟
- نعم نعم. لقد أخبرنا جميعنا بما يقوم به، فهل حدث له مكروه؟ هل هو في المستشفى أو شيء من هذا القبيل؟ هل تناول جرعة زائدة؟
- بل حدث ما هو أسوأ من ذلك يا صديقي. لقد ضبطته الشرطة يحمل كمية كبيرة منها فقبضوا عليه.
- أين حدث ذلك؟ ومتى؟

- منذ عدة أيام. وأنت لم تنتبه لغيابه إلا اليوم. لقد رأيتهم بعيني وهم يأخذونه. ولقد ذهبت أمس لمخفر الشرطة فأبلغني الشرطي أنهم عثروا بحوزته على كمية من الممنوعات يبدو أنه كان قد أخذها من أحد التجار ليقوم بترويجها وبيعها، وقد قام أحد المخبرين بمراقبته ثم الشراء منه ليوقعه في المصيدة وأنت تعلم أن (دونالد) ساذج جداً، فسرعان ما تم القبض عليه. وحينما حاولت زيارته في مخفر الشرطة لم يسمحوا لي برؤيته.
- هذا خبر محزن ومؤسف يا أصدقاء. كنت أظن أنه توقف عن هذه الأعمال الغبية. الآن سينتهي به الأمر في السجن لسنوات طويلة ممتدة.

غادرت المجموعة حزيناً. لقد أضفت هذه الحادثة لقائمة الفشل ضمن سجل إصلاح رفقائي من المشردين. ولكن لن تذهب جهودي أدراج الرياح، فسوف أسعى لإنقاذ البقية الباقية من حياة البؤس والتشرد. إنهم يعيشون على هامش الحياة، بلا أمل ولا مستقبل. بقيت أفكر في الطريقة التي أرفع بها من شأنهم، فالمجتمع هنا لا يهتم لأمرهم البتة، إن الناس هنا يحسون أن هؤلاء المشردين هم عبء ثقيل عليهم، رغم أن البعض يتعاطف معهم وخاصة النساء، فهن يمنحنهم النقود. إلا أن معظم

المشردين مدمنون فبدلاً من إنفاق المال القليل الذي يكسبونه من المارة لشراء الطعام والشراب إلا أنهم ينفقونه في التعاطي.

لقد لاحظت أن معظم المشردين في الشوارع مرضى نفسيون وبعضهم مصاب بالفصام والإدمان. رأيت كثيرين يحدث بعضهم نفسه بصوت عالٍ، ويتشاجر مع الهواء.

ذهبت للمتجر القريب لأشتري لمجموعتنا بعض الاحتياجات، وبالفعل اشتريت الماء والطعام ودفعت قيمة ذلك من مدخراتي القليلة، التي يهبها لي المارة، فلا أنفقها على نفسي أبداً، وبدلاً من ذلك أوفرها لشراء الطعام والشراب لهؤلاء المشردين.

عند مغادرتي المتجر، وبمجرد أن أصبحت أمام بوابة الخروج حدث أمر رهيب جداً، لم أكن أتوقعه، ولم أحسب حسابه. لقد جاءت العجوز (مادلين) للتسوق فبوغتت حين رأت زوجها المتوفى يسير خارجاً من المتجر يحمل الماء والطعام – أو هكذا ظنت، فقد رأتني أرتدي ملابسه بالكامل - ودون تفكير اندفعت نحوي وأحاطتني بذراعيها وأخذت تبكي بصوت عال. لقد كان موقفاً صعباً ومفاجأة غير سارة لي ولها. ذعرتُ لهول هذا الحادث، فلم أعرف كيف أتصرف حياله، وبقيت متجمداً مثل دمية عرض الملابس، التي يضعونها في الواجهات الزجاجية بمحلات البيع. وتجمع الناس حولنا وظنوا أن في الأمر شيئاً، ولكنها لم

تعرهم أي اهتمام واستمرت في البكاء. حاولت أن أعتذر لها، أو أقول شيئاً يجعلها تهدأ قليلاً، ولكن العبارات لم تطاوعني، ولم أعرف ماذا أقول، فبقيت أتمتم بكلام غير مفهوم. انتبهت لدموعي التي سالت على خدي، فياله من موقف صعب. لقد فطرت هذه المرأة قلبي. كانت تنظر في وجهي بضع ثوان ثم تعود فتحتضنني بين ذراعيها، ثم تلمس ثياب زوجها التي كنت أرتديها. وبعد قليل هدأت ونظرت في عيني ثم قالت:

- هومر ماذا تفعل؟ أنت ترتدي ثياب (جيمي) زوجي! لقد ظننت لأول وهلة أنك هو لما رأيت ملابسه، ولهذا لم أفكر كثيراً فتصرفت بهذه الطريقة. أين وجدت هذه الملابس؟ هذه ملابسه قطعاً فرائحته ما تزال فيها حتى اليوم رغم مضي سبع سنوات على انتقاله. آآآ تذكرت لابد أنك أخذتها من قبو المنزل. يا لك من صبي مكار. ولكن لماذا فعلت هذا؟

قلت لها:

- بالفعل أخطأت. أعتذر منك يا سيدتي، أرجوك سامحيني فقد كان هذا تصرفاً أحمقاً لن أكرره مرة أخرى، فهذه الملابس ليست لي وليس لي الحق في الحصول عليها أو ارتدائها.
- لا لا بالعكس. فهي تناسب مقاسك وطولك وحجمك وكل شيء. أنا سعيدة بهذا رغم المفاجأة التي صعقتني. فلا أمانع أن ترتدي ثيابه

لكن لماذا فعلت هذا؟ فهذه ملابس مستعملة وقديمة. بقينا نحتفظ بها تذكاراً لزوجي المتوفى، ولي معها ذكريات كثيرة. إنني أذكر تاريخ كل قطعة، متى اشتريتها له ومن أي المتاجر. ولكن هل تحتاج النقود لشراء الملابس؟ لماذا لم تصارحني من قبل يا هومر فأنت مثل (جيمي) ابني.

لقد اضطرتني للكذب عليها من أجل التخلص من هذا الموقف الحرج. قلت لها:

- لقد كنت أجربها لأرى هل تصلح لاحتفالات الهالوين أم لا!
- بالطبع لا تصلح للهالوين يا هومر. وليس هذا هو وقت الهالوين. أنا أعلم أنك لا تقصد هذا. أيها الكذاب فليس من عاداتكم الاحتفال بالهالوين. أو هكذا أخبرني (مهمود). ولكن غير مهم. غير مهم. تعال معي لأشتري لك بعض الملابس أيها الأفاك، فأنت لا تملك المال.

وبالطبع تبعتها لأخفي الحرج ولأتدارك الموقف كله حتى لا تظن بي الظنون، لكنها لاحظت أنني ما زلت أحمل الكثير من الماء والطعام في يدي فقالت:

- هل تشتري كل هذا لزملائك في الكلية يا هومر؟

- لا. بل كنت أحمله للمشردين الذين بلا مأوى والذين هم هناك عبر الشارع.
- أنت طيب القلب جداً يا هومر. لا تملك المال ورغم ذلك تهتم بالمشردين. انتظر هنا من فضلك!

وبينما غابت (مادلين) داخل المتجر عبرتُ الشارع فأعطيت مجموعة المشردين ما جلبته لهم من طعام وماء، ثم عدت بسرعة فوجدت (مادلين) واقفة تبحث عني وهي تحمل في يدها بعض الملابس التي اشترتها لي من المتجر. لقد بعث هذا الموقف حيوية في قلب (مادلين) وحماسة عجيبة رغم غرابته. ظهر ذلك جلياً على وجهها ومشيتها وطريقة كلامها.

وعند عودتنا إلى البيت لاحظنا أن الباب ليس مغلقاً. ولاحظت الاهتمام والقلق الشديد في وجه (مادلين)، التي حين رأت الباب مفتوحاً بحثت عن المفتاح تحت بساط العتبة التي أمام المدخل فلم تجده في موضعه. كنا قد اتفقنا أن تترك لي المفتاح في ذلك الموضع حال مغادرتها المنزل لأي ظرف، فلم نكن نملك سوى نسخة واحدة من المفتاح، ولم نهتم بعمل نسخة إضافية لي، وهي عادة لا تغادر المنزل إلا مرة واحدة كل شهر وذلك لشراء المؤن والطعام.

قالت:

- يبدو أنك عدت للبيت قبلي يا هومر لأخذ شيء ثم تركت الباب مفتوحاً! ولكن أين وضعت المفتاح؟

قلت:

- كلا يا سيدتي، لم أفعل ذلك، فقد خرجت باكراً ولم أعد للبيت إلا معك الآن!

قالت في فزع:

- يا إلهي. لا بد أننا تعرضنا للسطو على المنزل إذاً. فأنا متأكدة أنني أغلقت الباب جيداً لحظة خروجي. ففي العادة لا أتركه مفتوحاً البتة.

هرعت (مادلين) إلى غرفتها تتفقدها بينما أسرعت إلى غرفتي ففوجئت باختفاء جهاز الحاسب الآلي، والأدهى أن جميع الأقراص التي كنت أحتفظ فيها ببرامج شريحة التنصت قد اختفت هي الأخرى. لقد حصل اللص على كل مجهودي الذي قمت به خلال الأشهر الماضية فقد حفظت في تلك الأقراص جميع البحوث المختبرية المتعلقة بدراستي إضافة إلى العمل الذي قمت به للمنظمة.

أسرعت لأخبرها أنني فقدت شيئاً هاماً، لكنها كانت مشغولة على الهاتف بالتحدث مع الشرطة للإبلاغ عن حادثة سطو على منزلنا. وخلال بضع دقائق وصلت الشرطة وبدأوا التحقيق في الحادث. تبين أن اللص لم

يأخذ أي شيء من المنزل سوى جهاز الحاسب الشخصي وأقراص التخزين التي كانت في غرفتي. وسألني المحقق الذي جاء مع الشرطة عن مواصفات الجهاز ومحتوياته، فوصفته له وتعبت جداً في وصفه. فقد تبين أن هذا المحقق لا يعرف شيئاً عن الحاسب الشخصي (أبل) ، بل لا يعلم أن هناك شيئاً اسمه الحاسب الآلي الشخصي أصلاً، ولم يصدق أنني فقدت جهاز حاسب آلي لأن أجهزة الحاسب الآلي في العادة، ووفق علمه ضخمة جداً ولا تتسع لها غرفتي ولا يملكها الأفراد، بل تملكها الجامعات ومختبرات البحوث العلمية والشركات الكبيرة، فظن أنني أكذب أو أقوم بتهويل الموضوع، لكنه آخر الأمر سجل ضمن قائمة المفقودات أنني فقدت (كالكيوليتر) أو آلة حاسبة كبيرة! بينما لم يستوعب الشرح حول الأقراص المفقودة، فكتب في خانة وصف المفقودات: (وأشياء أخرى تخص الآلة الحاسبة).

وبينما كان يفحص الغرفة لاحظ صور (جيمي) المعلقة على الجدران، فتفحصها جيداً ثم قال لي:

- أعرف هذا الشاب!

قلت له:

- حقاً؟ هل قابلته في سان فرانسيسكو؟

بوغت بسؤالي ونظر فتأكد أن (مادلين) ليست معنا في الغرفة، ثم قال لي هامساً؟

- بل رأيته في سجن سوليداد!

أصابتني قشعريرة حين سمعت هذا الاسم، فمعروف عن سجن سوليداد أنه سجن وحشي، حيث كان سرحان، المتهم بقتل روبرت ف. كينيدي، محتجزًا فيه، وكذا خوان كارونا، القاتل المتسلسل المكسيكي الذي قتل ما لا يقل عن خمس وعشرين عاملاً داخل مزرعة، وأدين في هذا العام ١٩٨٢ فحُكم عليه بالسجن المؤبد خمساً وعشرين مرة متكررة، أي أنه كلما أكمل خمساً وعشرين سنة في الحبس يتم تمديد فترة الحبس خمساً وعشرين سنة أخرى وهكذا، أي أنه سوف يقضي خمسمئة عام في هذا السجن الرهيب، إن كتب له أن يعيش. قلت للمحقق:

- هل تمزح بخصوص (جيمي)؟

فقال لي:

- هل تظنني أمزح لقضاء أحدهم سبع سنوات في هذا السجن؟ لا بد أنه ارتكب جريمة قتل أو ضبط وفي حوزته كمية كبيرة من المخدرات ليسجن في سوليداد. لا أجد أي مبرر آخر غير هذا.

وقبل أن أستمر في الأسئلة سمعنا وقع خطوات (مادلين) قادمة لغرفتي، فوضعت أصبعي على شفتي ليصمت فصمت، وربما علم وقتها أننا لم نكن نعلم بأي شيء عن القبض على ابنها أو محاكمته وسجنه.

وبعدما أنجز المحقق عمله وغادر المنزل تبعته إلى سيارته وبقيت أسأله عن حقيقة الأمر فقال لي:

- لم أكن أعلم أنك وهذه السيدة لا تعلمان بالخبر فهل هي والدته؟
- نعم هي والدته يا رجل. ولو علمت أن ابنها في السجن فسوف يقضى عليها. ولا بد أنه أنكر أن له أهلاً أو أقارب أثناء التحقيق معه أو محاكمته، وامتنع عن إعطائهم عنوان أمه حتى لا تفجع فيه. ولهذا لم يتصلوا بأمه ولم تشهد محاكمته. لقد أدركت الآن السر وراء اختفائه، ولماذا لم يتصل بأمه طوال السنوات الخمس الماضية. لقد أخفى كل شيء عن أمه المسكينة. فما هي جريمته يا ترى؟
- لا أعلم على وجه التحديد. لكن كل الذي أعلمه أنني بحكم ترددي على السجن، وكما تعلم فعملي هناك كان يتعلق ببعض المحكومين، رأيت هذا الفتى عدة مرات. رأيته يجلس وحيداً منعزلاً عن بقية المحكومين، وقيل لي إنه طوال السنوات الماضية لم يقم أحد بزيارته، فهذه مدة طويلة. ولهذا فقد أصيب بالاكتئاب الشديد داخل

السجن. لقد بقيت تلك المعلومة في ذاكرتي. والآن تعرفت عليه فور أن رأيت صوره معلقة على الجدران.

قلت في أسى:

- يا للمسكين. هل ترى أن من الحكمة إخبار أمه؟

قال:

- لا أنصحك بذلك فلم يبق أمامه سوى أقل من سنتين سيكون بعدهما حراً. ولكن يمكنني أن أرتب لك موعداً لزيارته إن أحببت.
- بالطبع أحب ذلك!
- سوف أتصل بك إذاً.
- أرجوك لا تتصل بي هنا وسوف أعطيك عنوان المختبر بالجامعة فأنا أمضي معظم الوقت هناك.
- حسناً.

قلت لنفسي يالليهول كيف سأعيش في بيت واحد مع هذه المرأة التي أحسنت إليَّ كثيراً وأنا أكتم عنها السر الذي تعجز عن حمله الجبال؟ وماذا سيكون موقفها مني لو علمت بعد ذلك أنني كنت أعلم بسجن ولدها ولم أخبرها. كلما تذكرت هذا زاد همي وغمي.

❊❊❊

حرب العصابات

قررت أن أمضي بقية اليوم مع رفقائي المشردين. كنت حزيناً فالتمست السلوى عندهم. وعندما وصلت علمت أنهم لم يشرعوا في تناول الوجبة التي أحضرتها لهم فبقوا بانتظاري. خفف ذلك عني قليلاً. هؤلاء المشردون أصحاب قلوب رقيقة لكونهم ذاقوا مرارة التشرد وحنظل الحرمان من السكن والطمأنينة، بعدما حرموا رغد العيش والأمن، تحت سقف يظلهم من حر الشمس وبرد الشتاء. إنهم يحتاجون أن يلوذوا ببعضهم البعض من قسوة الظروف، وشظف العيش، يلتمسون دفء هذه القلوب. لقد أثر غياب (دونالد) عليهم كثيراً، ولن يقووا على فقد عضو آخر من هذه المجموعة. إنها بمثابة عائلاتهم، فهي كل ما بقي لهم في هذه الحياة من دفء الأسرة والأهل. كان (ستيوارت) ذلك الرجل الغامض ما يزال يجلس وحده بعيداً عنهم، ولكنهم اعتادوا على ذلك. إنهم لا يعلمون ما يخبئه هذا الرجل من أسرار. والحمد لله أنهم لا يعلمون.

في اليوم التالي ذهبت إلى الكلية، ولكن (بوب) بقي غائباً. أخبرت المشرف بما حدث لي في غرفتي بالمنزل، وأخبرته باختفاء الحاسب الآلي الشخصي، والأقراص التي كنت أحفظ فيها واجباتي وبرمجياتي، فرأيت الدهشة في عينيه. من الواضح أنه لم يصدق أي كلمة مما قلت. إنه الآن يظن أني أخفي عنه رموز البرمجيات متعمداً، وأنني أكذب عليه. قلت له:

- هل يعقل أن (بوب) هو الذي دخل غرفتي فاستعار الجهاز دون علمي؟ ربما احتاجه بشدة وبحث عني ليخبرني فلم أكن موجوداً، واضطر لدخول غرفتي بهذه الطريقة.

نظر إليّ المشرف مرتاباً لكنه لم ينبس ببنت شفة. فواصلت كلامي:

- لكنني قلت لنفسي لماذا يفعل هذا فهو ليس مضطراً لذلك الفعل لكونه شريكاً معي في هذا البحث، وكان بإمكانه إخطاري بحاجته للجهاز والبرمجيات قبل أخذها بهذه الطريقة الغريبة، فهو زميلي ونعمل معاً هنا داخل المختبر كل يوم. وإذا سلمنا أنه أخذ البرمجيات والأقراص فلماذا يأخذ الجهاز؟ ولماذا لم يخبرني أنه يحتاجه أو يحتاج البرمجيات؟ هذا أمر لا يعقل. إذاً فلا بد أن من سطا على غرفتنا لص غبي جاء يبحث عن أي شيء وراقب المكان، فلما علم بغيابنا عن المنزل انتهزها فرصة وأخذ ما خف وزنه وغلا ثمنه ثم غادر. ثم أين هو (بوب)؟

كان المشرف يستمع إليّ وقد عقد ساعديه على صدره دون أن يتفوه بكلمة واحدة، ولما أنهيت حديثي أولاني ظهره وغادر المختبر. تأكدت أنه الآن يظن أنني كذاب أشر. فهو لم يصدق كلمة واحدة مما ظللت أقوله.

لم أجد إجابة مقنعة لأسئلتي فصرفت النظر عن الموضوع، وقررت أن أبدأ ذلك المشروع من جديد، ولكن في هذه المرة بالاعتماد الكامل على مختبر الكلية رغم ما في ذلك من المخاطر. وعندما يعود (بوب) سوف يتضح كل شيء.

أمضيت أسبوعاً كاملاً في المختبر أعمل على إعادة برمجة المشروع ضمن الواجبات الدراسية، وبذلت جهداً جباراً لإنجازه في أقرب وقت. وساعدني أني كنت قد أنجزت هذا العمل من قبل. ولما قدمته للمشرف رأيت الابتسامة في وجهه بعدما اطلع عليه، فقد أيقن أني صادق وأني لم أكن أخفي عنه شيئاً، خاصة وأن (بوب) ما يزال غائباً، مما جعله يصدق ما أخبرته به عن اختفاء الحاسب الآلي من منزلي ومعه تلك الأقراص.

بعد مغادرتي الكلية عدت للمجموعة وكان (ستيوارت) متغيباً عنها. لكنني علمت أين سأجده فسعيت وراءه كالعادة. وحين وصلت المنتزه اختبأت في مكاني حين رأيته جالساً في مكانه القديم، وقد وضع قبعته فوق فخذه، وكان ينظر بعيداً نحو المكان الذي ظهر فيه ذلك الرجل القصير

في المرة السابقة. ولم يخب ظني فما هي إلا دقائق معدودة حتى ظهر ذلك القصير. وسرعان ما بدأت المحادثة بينهما.

فبعد التحية سأله (ستيوارت): (٩) أي ما الأمر؟

أجاب الرجل القصير: (لقد حصل السلطعون على آلة ذلك النباتي وفيها بضاعتنا (النباتي في مصطلح عصابة الدم بلود هو الشخص الذي لم يتلوث بالدم أي أنه لم يجرح أي شخص فلم يتشاجر قط، لذا فهو ليس سوى نباتي).

قلت لنفسي: ياللهول لقد كانوا يتحدثون عني أنا ضمن ذلك الحوار. فأنا لم أنضم للعصابة بعد ولم يتم اختباري بالدم عند الدخول أو القفز علىَّ. وذلك معناه أن عصابة كريبس هي التي نفذت السرقة فاستولت على جهاز الحاسب الآلي والبرمجيات من غرفتي.

أجاب (ستيوارت): إنه حليفنا. إذاً نحن على المسار الصحيح لأكل السلطعون (يطلق البلودز على عصابة كريبس اسم السلطعون (كراب)، فمن وجهة نظر عصابة الدم أن كريبس ليسوا سوى سلطعون. وهذا اللقب يعني عدم الاحترام ويشير إلى المرض التناسلي الذي يحمل نفس الاسم. وأما مصطلح (على المسار الصحيح) في قاموسهم فيعني الاستعداد للحرب.

لقد كان حواراً قصيراً لكنه كان مدمراً.

أسرعت بالعودة لرفاقي قبل أن يراني (ستيوارت) فيعلم أنني كنت أتبعه وأراقبه. لقد كنت أرتجف من هول هذه المفاجأة. وأصبحت أشد توتراً حين فكرت أن ما حدث لي من سرقة أغراضي قد يتسبب في حرب بين عصابتين، هما من أقوى العصابات في الغرب الأمريكي. وحين أدركت أن عصابة كريبس كانت تراقبني، وأنها تعلم ما كنت أقوم به زاد قلقي، فقد أصبحت الآن هدفاً لهم أنا أيضاً، بل إنني كنت هدفاً لهم منذ البداية ولم أنتبه.

وفي صباح اليوم التالي لاحظت حركة غير اعتيادية بين أصحاب القمصان الحمراء. يبدو أن عصابة الدم يستعدون لشن حرب شاملة على عصابة كريبس في لوس أنجلوس. لقد بدأوا يحشدون مجموعاتهم وعائلاتهم لهذا الأمر الخطر. فقد لاحظ الجميع حركة مجنونة في الشوارع للابسي القمصان الحمر، وعائلات صائدي الجوائز في منتزه أثينا. وعندما ينشط هؤلاء فعليك أن تتوقع اقتراب حدث كبير وسفك دم. لقد تجمعت عائلة الشارع السابع والثلاثين وعائلة مدينة فروت تاون بكومبتون، وعصابة فان نيس، وعائلة منتزه سنتر بارك، وجميع عائلات بيشوب وهم كثيرون. كانوا يتواصلون مع بعضهم البعض بلغة استاكينج دون أن يخفوها، وكانوا ينظمون مسيرات بالسيارات تجوب شوارع لوس أنجلوس، وقد

طليت باللون الأحمر ورسمت عليها علامة الجمجمة والعظام باللون الأسود رمزاً للموت والقتل.

سكان تلك المناطق في لوس أنجلوس أبقوا أبناءهم وأطفالهم في المنازل في ذلك اليوم، ولم يرسلوهم للمدارس تحسباً لما سوف يحدث. وبقيت الشرطة حائرة في الطرقات لا تعرف ماذا ستفعل. وانتشر رجال المخابرات في الطرقات.

تذكرت وصية صديقي (خليل) - التي لم أعمل بها - وتحذيره لي كثيراً من أي علاقة مع عصابات أولاد الشوارع. ولكن ما الذي يجدي الآن فقد فات الأوان على الأخذ بأي وصية. لقد وقع الفأس على الرأس وانتهى الأمر، ولم يعد بالإمكان تفادي ما سوف يحدث.

لكنني رغم ذلك ذهبت للكلية كالمعتاد. وفي المختبر سألني المشرف سؤالاً مباشراً:

- متأسف لهذا السؤال يا (أوم)، ولكن أجد أنه لا بد أن أسألك سؤالاً مباشراً. هل لك أي علاقة بهذه العصابات؟

كان سؤالاً مفاجئاً حقاً فقلت له:

- كلا. البتة! ولكن لماذا تسألني هذا السؤال؟

فقال لي:

- ألم تلاحظ غياب زميلك (بوب)؟ منذ عدة أيام؟

قلت:

- بلى لاحظت فهل حدث له مكروه؟ لقد ظننت أنه مريض أو شيئاً من هذا القبيل. ثم ما هي علاقة اختفائه بسؤالك لي عن انتمائي للعصابات يا سيدي؟

قال:

- سوف أخبرك بأمر بصورة شخصية وذلك لأنني لست متأكداً مما حدث له، لكن سرت شائعة تقول إن جماعة قامت باختطافه. ربما هم أصحاب القمصان الزرقاء أو ربما أصبح في قبضة المباحث الفيدرالية. لا بد أنه فعل شيئاً مخالفاً للقانون يا (أوم).

تظاهرت بالغباء فقلت:

- ومن هم أصحاب القمصان الزرقاء؟ هل هم فريق رياضي معين؟ ولماذا يختطفونه؟ هل هو مهم لهذه الدرجة؟

ابتسم المشرف وقال:

- هذه المدينة مليئة بالعصابات الخطرة. أصحاب القمصان الزرقاء هم عصابة كريبس. وهي من أكثر العصابات عدداً وخطورة، ولا أعلم لماذا أخذوه. المهم أنه متغيب للأسبوع الثاني على التوالي. وربما أخذته المباحث الفيدرالية. لا أحد يعلم على وجه اليقين. ولهذا أنصحك أن تحاول الابتعاد عن المتاعب قدر الإمكان خلال الأيام القادمة.

قلت له:

- أشكرك للنصيحة، ولكن أنا دائماً أبقي نفسي بعيداً عن المتاعب والمشكلات.

ثم قلت لنفسي:

- يا لي من كذاب أفاك، فأنا هو المشكلات عينها!

وحين غادرت المختبر أخبرني زميل آخر حين كنا في ممرات الكلية أن المباحث الفيدرالية بالفعل هم من ألقوا القبض على (بوب) بتهمة التنصت والقرصنة، واختراق اتصالات المكالمات الهاتفية الفيدرالية. وأنهم ضبطوا أجهزة التنصت في غرفته. قال لي:

- لاحظت أن زميلك هذا ينتمي لحزب يساري التوجه، فربما تم القبض عليه بتهمة التخابر لصالح الاتحاد السوفيتي. ولو ثبت هذا فستكون العقوبة كبيرة جداً!

قلت له:

- إن (بوب) مجرد طالب تقني في الجامعة يهوى صناعة الأجهزة وتجربتها ولا ينتمي لهذه التنظيمات السياسية الخطرة، فهو يفعل ذلك لمجرد المتعة وصقل مهاراته التقنية. إنه زميلي وأنا أعرف ما يفعل.

قال لي:

- إياك أن تقول هذا وإلا أصبحت شريكاً له في التهمة. إن المباحث الفيدرالية تبحث عن أي علاقة لهذا الفتي بآخرين.

شكرته وغادرت الكلية متوجهاً نحو المنزل. لكن (ستيوارت) فاجأني بأن اعترضني في الطريق وأمسكني من يدي دون أن ينظر ناحيتي فتبعته وقد عقدت الدهشة لساني.

وحينما خلونا وجلسنا في أحد المقاعد أنزل حقيبته من ظهره وأخرج منها النوتة والقلم ثم كتب لي:

- هل لديك نسخ من العمل المشترك الذي كنت تقوم به مع زميلك (بوب)؟

لقد باغتني بهذا السؤال فوقع عليَّ وقوع الصاعقة. فأنكرت على الفور دون تفكير وقلت:

- أي عمل مشترك وأي نسخ؟

كتب لي:

- اسمع يا فتى، لا أملك الكثير من الوقت لأشرح لك. أنت مرشح لتكون عضواً في مجموعتنا منظمة الدم بلودز. لم يتم انضمامك رسمياً لأننا كنا ننتظر الحادي والثلاثين من شهر يوليو، لكننا بقينا نثق بك وبذلك تعاملنا معك واتخذناك حليفاً لنا. لقد أرسلنا (بوب) ليزورك في غرفتك ويعقد معك الصفقة، وأنت قبلت بها، فترك لك قوانين

المنظمة على مكتبك وعلَّمك خلال الأسابيع الماضية لغة الإشارة استاكنق للتخاطب. كنا نعلم كل هذا ونتابعه. ومنذ ذلك الوقت عملتما معاً في المشروع الذي عرضه عليك، وفي أثناء ذلك أنت كنت تتبعني وتراقبني طوال الأيام الماضية. وأنا تركتك تفعل ذلك وتظن أنني لا أعلم ما تفعل! والآن حصل أعداؤنا من كريبس على مجهودك الذي يخصنا. نحن نعتبر هذا العمل غاية في الإهانة والاستحقار من هؤلاء القذارات وننوي الانتقام. فهل لديك نسخ من العمل؟ فكر جيداً لأنك لو أجبت بلا فسوف نشن الحرب عليهم لاستعادة ما يخصنا وسوف تراق الدماء. هل تفهم؟

قلت في انكسار:

- نعم أفهم. وليس عندي أي نسخ فقد حصلوا على كل شيء.

تركني ومضى لكنه عاد مرة أخرى وكتب لي:

- بالطبع أنت لن تشارك في الأحداث القادمة، لكن أريدك أن تلزم الحذر فقد تكون عرضة للاختطاف ما داموا يعرفون عنوانك لأنك أنت من صنع البرمجيات. وكذا أريد منك أن ترعى ابنتي (بيكي) فيما لو حدث لي شيء. وبالمناسبة هي ابنتي على الحقيقة، وأنا لم أتركها أو أترك أمها بمحض اختياري، بل فعلت ذلك من أجل سلامتهما، فنحن نحرص على رعاية عائلاتنا كثيراً. والآن لم يبق لي إلا ابنتي

والمنظمة، وأنت بالطبع. فأنا أعتبرك مثل ابني تماماً رغم أنني بدوت قاسياً عليك. لقد سجلت الكثير من مذكراتي في هذه المدونة التي أحتفظ بها في حقيبة الظهر، ولكن لن أسمح لكما الآن أنت وهي بقراءتها إلا بعد وفاتي، وستجدان فيها جميع الأجوبة على تساؤلاتكما. إن ابنتي ضحية وأنت شاب طيب وصالح. أرجوك اعتن بها. ومن يدري فربما تكونان زوجين في المستقبل!

كتب هذا ثم شدَّ على يدي بقبضته بقوة، ثم مضى. ولأول مرة أرى تعابير الحزن على وجه هذا الرجل الغامض الغريب.

في ذلك اليوم لجأت إلى صديقي الباحث الذي زودني بالمعلومات عن هذه العصابات أول قدومي إلى لوس أنجلوس، فطلبت منه المزيد عن تاريخ العصابتين وأخبرته بقلقي وخوفي من وقوع حرب بينهما نظراً لما لوحظ من توترات في الآونة الأخيرة فقال لي:

- إنني متعجب لاهتمامك بهذا الأمر رغم نصيحتي لك بالابتعاد عنه. لكن لا بد أن تعلم أن الذي يحدث بين هاتين العصابتين من صراع وتنافس هو أمر مستمر منذ السبعينيات، إلا أنه بقي محدوداً، ولا أظنه سيتسع ليكون حرباً شاملة بينهما في الطرقات، فالصراع بقي دوماً منحصراً بين عائلات وفروع صغيرة منهما.

قلت له:

- لقد لاحظت أن ذوي القمصان الحمراء هم من يتجولون اليوم في الطرقات مما يوحي بأنهم ينوون القيام بأمر خطر بينما اختفى ذوو القمصان الزرقاء ولا أثر لهم.

قال لي:

- عليك أن تعلم أن ذوي القمصان الزرقاء هؤلاء هم أول من بدأ العنف في هذه المدينة فقد ادعوا السيطرة على المدينة وحمايتها من العصابات الأخرى. وأن عصابات الدم بلودز نشأت في المقام الأول كرد فعل لعمليات إطلاق النار واسعة النطاق التي ارتكبتها عصابة كريبس بعدما تحولت في هذا العام لممارسة تجارة وتوزيع الكوكايين في المدينة، وهم عازمون على احتكار هذه التجارة وحدهم، مما أغضب مجموعات الدم بلودز التي لن تسكت على هذا التمييز. إنني ألوم هذا الرجل (فري واي ريك روس)، الذي تسبب في هذه الفتنة، فهو الذي جلب تجارة الكوكايين إلى لوس أنجلوس وأشعل التنافس بين العصابتين للفوز باحتكارها وتوزيعها. ألا ترى أن هذا التنافس هو الذي أدى إلى التمايز السافر بين العصابتين باللونين الأحمر والأزرق للتعرف على العضوية وتمييز الخصوم؟

قلت له:

- إن ما يحدث الآن في المدينة هو عمل خطر وأتوقع أن تكون عواقبه وخيمة.

قال:

- ستقلق كثيراً عندما تعلم أن هذه العصابات تمتلك أسلحة متقدمة، فلديهم اليوم البنادق الأتوماتيكية والرشاشات مثل ماك ١٠ وأوزي. لقد رأيتهم بعيني يحملونها ويتجولون بها في الطرقات وهم داخل سياراتهم. رأيت فوهاتها تخرج من نوافذ تلك السيارات.

وبالفعل فقد حدث أمر عجيب بعد يومين. لقد بدأ صائدو الجوائز من ذوي القمصان الحمراء اصطياد سيارات ذوي القمصان الزرقاء واحدة تلو الأخرى. كانوا يطلقون النار على تلك السيارات ويقصدون ألا يقتلوا ركابها، ولكنهم يكتفون بثقب إطارات تلك السيارات أو يتلفونها بالكامل، بقصد إرهاب أعضاء هذه العصابة، ثم يهربون من موقع الحادث قبل مجيء الشرطة. ثم بدأوا في تتبع السيارات التي تقوم بتوزيع المخدرات فيتبادلون إطلاق النيران مع ركابها، وحين يهرب أولئك الركاب يقوم صائدو الجوائز بالاستيلاء على حقائب المخدرات ويهربون بها. لقد تكررت مثل هذه الأفعال فأدخلت الرعب في قلوب تلك العصابة، حتى أرسلوا مندوباً يطلب التهدئة والهدنة. إلا أنه من المؤسف فقد وقعت إصابات ووفيات بين المارة أثناء إطلاق النار العشوائي من

السيارات. هذه العصابات تحولت إلى مافيا حقيقية في شوارع لوس أنجلوس بين عشية وضحاها بينما عجزت الشرطة عن التعرف على مطلقي النيران أو ضبطهم، فقد كانوا ينفذون أعمالهم بسرعة مدهشة وفي أماكن غير متوقعة ولا مرصودة بواسطة الشرطة، ثم يختفون في مثل لمح البرق.

انقطعت عن الذهاب لمجموعة المشردين عدة أيام فبقيت بالمنزل، ريثما تهدأ الأوضاع في الشارع، كما تخلفت عن الذهاب للكلية أيضاً. كنت استمع للإذاعة المحلية التي تبث أخبار الحوادث أو أشاهد التلفاز وأتابع عن بعد ما يقع من أحداث. لكن يبدو أن هذه الأحداث قد لحقتني لتفجعني حتى وأنا قابع في غرفتي.

ويا للهول! فبينما كنت أتابع نشرة الأخبار شاهدت خبراً عن تبادل لإطلاق النيران في الوسط الغربي لمدينة لوس أنجلوس ووقوع ضحايا. وبينما تم تقريب الكاميرا من أولئك الضحايا شاهدت شخصاً يشبه (ستيوارت) ممداً على الأرض وقد أصيب بطلقة في صدره. لم أصدق عيني فبقيت أحدق في ذلك المنظر. إنه (ستيوارت) بالفعل. فيا للفاجعة الكبيرة. لم أتوقع أبداً أن يشارك بنفسه في القتال الدائر في الشوارع، فمثل هذه الحرب يخوضها المراهقون، والجنود. وهذا الرجل يقترب من الخمسين عاماً ولا بد أنه من الزعماء في المنظمة وليس عضواً اعتيادياً.

ترى ماذا سأقول لـ (بيكي)؟ إنها لا تشاهد التلفاز ولا تعلم ما حدث لهذا الرجل.

مذكرة الرجل الغامض

أسرعت على الفور بالذهاب إلى المنطقة التي توجد بها مجموعة المشردين وعثرت على (بيكي). لم تكن تعلم ما أصاب والدها. فقلت لها:

- (بيكي) لقد حدث شيء لـ(ستيوارت) ولا بد أن نذهب إليه

قالت:

- لست مهتمة، اذهب وحدك.

قلت:

- (بيكي) اسمعيني، الأمر هام جداً ولا بد من ذهابك. طاوعيني هذه المرة. هذه المرة فقط ولن تندمي.

قالت:

- ماذا عندك؟ هل تعلم شيئاً لا أعلمه؟

قلت:

- نعم ولن أخبرك بالتفاصيل. فقط تعالي معي.

قالت:

- ألا ترى أني مشغولة؟ اذهب وحدك!

لقد قالت ذلك في حين لم تكن مشغولة بأي شيء! فقلت لها:

- (بيكي) إن (ستيوارت) في المستشفى. لقد وقع له حادث كبير. ومن الإنصاف أن نذهب لزيارته.

حين سمعت البقية ما قلته قلقوا كثيراً وعاونوني على إقناع (بيكي) للتوجه للمستشفى فاستجابت للأمر أخيراً. الجميع لم يكونوا يعلمون بالحادث، فلم يشاهدوا التلفاز منذ مدة طويلة. وأنا لم أخبرهم بتفاصيل ما وقع. توجهنا جميعنا إلى المستشفى حيث ترقد جثة (ستيوارت). لم أخبرهم أننا سنزور رجلاً ميتاً.

عندما وصلنا وأخبرناهم أننا جئنا لنرى (ستيوارت) أحاط بنا رجال المباحث وأخذوا يستجوبوننا. كنت أعلم ما سيحدث لكنني أخفيته عن البقية. وعندما سألوني عن علاقتي بالقتيل أخبرتهم بالحقيقة، وهي أن هذا الرجل مشرد وبلا مأوى، وأنه كان يجلس مع المجموعة التي بقيت تلتقي في الشارع المقابل لمجمعات الجامعة، وذلك منذ عدة أشهر ماضية، وأنني تعرفت عليهم حينما رأيتهم يتجمعون قريباً من تلك المباني، فبقيت أشتري لهم الطعام بدلاً من منحهم النقود، وأن هذا الرجل يزعم أن الفتاة (بيكي) هي ابنته الحقيقية، وقد أخبرني بذلك بنفسه. وبالطبع لم أقل لهم إنه عضو في عصابة، ومن الواضح أنهم لا يعلمون ذلك، فأيقنوا أنه مجرد متشرد وجد نفسه في المكان الخطأ والزمان الخطأ، وأنه كان ضحية تبادل

النيران العشوائي بين العصابتين. ومن الواضح أنهم لم يجدوا معه سلاحاً، فأظنه كان في الميدان يوزع الأوامر أو يشرف على العملية. تم وعند استجواب البقية أكدوا أقوالي. وحتى ذلك الوقت لم يسمحوا لأي منا برؤية الجثة.

لكن (بيكي) علمت بوفاة أبيها عندما أحضر ضابط التحقيقات مقتنياته وسلمها لها. وقفت في مكانها مذهولة بعينين جاحظتين وفم مفتوح. لقد تسمرت وكأنها تمثال منحوت من صخر. لم تمد يدها لاستلام مقتنيات أبيها. بقيت صامتة لم تنزل من عينيها أي دموع. كانت مأخوذة بالصدمة. يا لها من فتاة مسكينة.

أسرعت فتناولت المقتنيات من يد الضابط الذي سألني:

- هل هي صديقتك؟

ودون تفكير قلت:

- نعم!

كانت مقتنياته هي عبارة عن قبعته وحقيبة الظهر. هذا هو كل ما هنالك. فتحت الحقيبة لأرى محتوياتها فلم أجد فيها سوى المنظار المقرب، وفرشاة الأسنان والمعجون، وبضعة أوراق وأقلام، كان يستخدمها للتخاطب مع الناس، إضافة إلى دفتر مذكرات بغلاف من الجلد. وقد كتب عليه من الخارج: يقرأ بواسطة (بيكي) فقط.

كان من الواضح أن المحقق الذي سلمنا الحقيبة قد قرأ تلك المذكرة واطلع عليها ولم يخبرنا أنه قرأها. لكنني قد علمت ذلك من مراقبتي له فقد أبدى نوعاً من عدم الاهتمام بما في الحقيبة ولم يسأل عن محتوياتها فأيقنت أنه سبقنا فقرأها وأنه يعرف كل شيء فيها.

ناولت (بيكي) ذلك الدفتر فانتحت جانباً لتقرأ ما ورد فيه لكنها نادتني لأجلس معها فترددت حيث إنه من الممكن أن يحتوي على أمور شخصية خاصة وليس من اللائق أن أعرفها. لكن (بيكي) أصرت أن نقرأ تلك المذكرة معاً، فامتثلت لها. جلسنا على الأرض وأخذنا نقرأ محتوياتها. كانت مكتوبة بخط كبير وجميل، لكنها كانت متسخة قليلاً. لم تكن تحتوي سوى صفحتين أو ثلاثاً. كتب فيها:

((ابنتي الحبيبة (بيكي): بما أنك تقرأين هذه المذكرة الآن فمعناها أننا لن نلتقي أبداً لأنني حينها أكون قد غادرت هذه الحياة. ولهذا فقد حرصت على كتابتها خصيصاً من أجلك لكونك لم تسمحي لي أن أخبرك بالحقيقة كاملة. لكنك سوف تجدين فيها الإجابة عن تساؤلاتك كلها، وعن علاقتي بك، وسوف تسامحينني آخر الأمر. متأكد من هذا! ولذا كتبت لك.

بالفعل أنا والدك الحقيقي ولم أخدعك أو أكذب عليك، بل إنني لم أتخل عنك أبداً طوال السنوات الماضية، فقد أبقيتك قريبة مني في جميع

الأوقات، رغم أنك لم تكوني مدركة لذلك. لكنني لم أستطع التواصل معك ولا مع والدتك مباشرة، وذلك من أجل الإبقاء على حياتيكما، وسوف أذكر لك الأسباب. لقد التحقت في السابق بالمارينز حيث تعلمت فنون القتال والدفاع عن النفس، وتم ابتعاثي ضمن فرقة المهام الخاصة للعمل في الخارج. وبعد عودتي تقاعدت وبحثت عن عمل مناسب لي، فعملت حارس أمن في نادٍ ليلي، وهناك تعرفت على والدتك، ثم رآني أحد أعضاء منظمة كريبس الذين عرضوا عليَّ العمل معهم فوافقت، وذلك لأن العائد من وظيفة حارس أمن لم يكن مجزياً. وبعدما التحقت بهم أخلصت لهم وكنت السبب في حصولهم على الكثير من المال، وجلبت لهم الكثير من الأعضاء، بل حتى زوج أمك كان أحد أصدقائي المقربين فقد وجدته مشرداً وبلا مأوى فقدمته للمنظمة وكنت السبب في استيعابه للعمل معهم. لكن الخيانة كانت تسري في دمه، فقد طمع في نيل موقع أكبر في المنظمة على حسابي. لقد سعى بالوشاية الكاذبة لدى قيادة المنظمة رغم أن ذلك يعتبر خروجاً على قواعدها، فزعم أني عميل للمباحث الفيدرالية. وفي واقع الأمر كان ذلك محض كذب وافتراء. لكن المنظمة صدقته فقد كانوا يأخذون كل تهمة مأخذ الجد. ولكنني قبل ذلك كنت قد تعرفت على العمل وأساليبه وأسراره،

وتعرفت على معظم أفراد المنظمات السرية في المنطقة وتجار المخدرات وعصابات المافيا وغير ذلك الكثير.

لكن منظمة كريبس صدقت الوشاية فقبضوا عليّ وعذبوني ثم قطعوا لساني وألقوا بي في الأحراش. وكان حرياً بهم قطع لسان ذلك الواشي الخائن. لقد أمضيت وقتاً طويلاً فاقداً الوعي ولا أذكر عدد الأيام التي أمضيتها منطرحاً على الأرض، ثم أمطرت السماء وكدت أغرق في تلك المنطقة المنخفضة نظراً لتدفق المياه التي ملأت المنطقة التي ألقوني فيها مكتوف الأيدي والأرجل، فاستيقظت وقاومت حتى تمكنت من فك وثاقي وصعدت إلى السطح. لقد كنت قوي البنية فلم أمت في لحظتها لكن ذلك الحادث غير حياتي تماماً، فأخفيت نفسي عن منظمة كريبس مدة من الزمن، وقمت بتغيير ملامحي. لقد قررت الانتقام من هذه العصابة وتدميرها بالكامل. كنت أعلم أين يخبؤون أموالهم فقمت بالإغارة عليها واستوليت على كل ما استطعت حمله وخبأته، وعندما علموا باختفاء أموالهم جن جنونهم ولم يعرفوا من الذي استولى عليها. لقد كانوا يظنونني ميتاً فأشارت أصابع الاتهام لآخرين غيري، وقاموا بالتنكيل بهم، ولكن بغير جدوى فبقوا يتخبطون، ولم يعثروا على مكان الأموال ولم يعرفوا من الذي أخذها. كنت أعلم أن أمك حبلى بك يومها، لكنني لم أستطع التواصل معها، خاصة بعدما علمت أن ذلك الواشي الخائن قد

أعقبني ليحل محلي. بقيت سنوات طويلة مختبئاً عن الأعين، وفي أثناء ذلك تواصلت مع هؤلاء المظلومين داخل المنظمة، وكنت أثق بهم فأخبرتهم أنني على قيد الحياة، وأنني عازم على تدمير منظمة كريبس، وقد حصلت على أموالها. وأنهم لو تعاونوا معي على تدميرها فسوف يكون لهم نصيب كبير من المال الذي حصلت عليه. ثم انضممت لمنظمة الدم (بلودز) وصارحتهم بكل ما حدث لي فوثقوا بي. لكني لم أخبرهم أني حصلت على أموال كريبس. ومن يومها بقيت أتواصل مع زملائي المتعاونين معي داخل منظمة كريبس. وكنت أنقل معلوماتهم لمنظمة الدم (بلودز) فأفلحت بذلك في إفشال كثير من خطط كريبس لصالح منظمة الدم (بلودز).

أما ذلك الخائن الذي قتل أمك فلم ينج مني. لقد توليت أمره إلى الأبد، وكنت القاضي والجلاد في الوقت نفسه. لا رحمة لمن يسيء لعائلتي. ولقد دفنته في نفس المكان الذي تم إلقائي فيه لأموت منذ عشر سنوات أو تزيد، نتيجة لوشايته وخيانته.

لكنني بعدما تأكدت أن عصابة كريبس لن تتعرف عليَّ بعدما غيرت ملامحي كثيراً واختفيت عن أنظارهم سنين طويلة خرجت لأقابلك وأخبرتك أنني والدك الحقيقي. كنت متأكداً أنه يصعب عليك تصديق

ذلك فأنت لم تعرفيني ولم تقابليني طوال حياتك. لكن أسعدني أني كنت قريباً منك آخر أيام حياتي. أرجوك سامحيني.

أحبك جداً.

(ستيوارت)

ملحوظة: كنت قد دسست في حقيبتك لغزاً للتسلية بفك رموزه. فعلت ذلك منذ عدة أيام حين كنت أخبرتك أني والدك، ولكنك لم تكوني مستعدة للاستماع لي، وكنت منشغلة برفضي فلم أخبرك أني فعلت ذلك. لا أملك شيئاً أقدمه لك سوى هذا اللغز ليذكرك بي كلما أردت قضاء وقت ممتع. ستجدينه في أحد جيوب الحقيبة. حاولي حله أثناء تمضية بعض الوقت مع صديقك (أوم) فأنا متأكد أنه سيساعدك بما أنه بارع في الرياضيات. أرجو لكما قضاء وقت ممتع))

أخذونا لنشاهد الجثة في المشرحة. فتبعنا الضابط الذي قادنا لموضع الجثة. كان (ستيوارت) يرقد هناك في هدوء وسلام بعينين مغمضتين وفم مفتوح قليلاً وكأنه يبتسم إلينا.

وقفت (بيكي) عند رأسه، ثم وضعت يدها موضع الجرح الذي أحدثته الرصاصة التي اخترقت صدره. ثم مرت بيدها على جبينه وأمسكت شعر رأسه. ثم لم تحتمل الموقف فغادرت المكان، وتبعتها خارجاً، فغادرنا المشرحة والمستشفى وتبعنا الآخرون.

وعندما كنا في الطريق تحدث (خوزي بلانكو) الفنزويلي قائلاً:

- يا رفاق. لقد قررت العودة إلى فنزويلا، وسأفعل ذلك فوراً الآن!

قلت:

- لماذا؟ فأنت قطعت رحلة شاقة صعبة لتصل إلى هنا وتخليت عن ابنك وبنتك، فلماذا قررت الآن الرجوع فوراً؟

قال:

- ابني وابنتي في أيد أمينة فلم أعد أخاف عليهما. لكن هذه البلاد مليئة بالشرور يا أصدقاء. إنني لم أغامر بالحضور إلى هنا لأقضي بقية عمري مشرداً يا (أوم) أو مقتولاً في أحد الشوارع بيد مجهول، أو ضحية لتبادل إطلاق النار بين عصابتين دمويتين للفوز بالسيطرة على أحد الأحياء أو تجارة توزيع المخدرات. لديَّ بيت في فنزويلا، وأمل في الحياة هناك ومجتمع وأصدقاء. صحيح أن فنزويلا فقيرة والطعام شحيح، لكنها بكل تأكيد أفضل من هذه البلاد. لن أبقى هنا ولو يوماً واحداً. تذكروني في صلواتكم. أنا مغادر. فالعيش هنا في هذه البلاد موت بطيء أو انتحار سريع.

قال هذا وعانقني وودع بقية الأصدقاء ثم انصرف سريعاً. قلت لنفسي: لماذا لا أحذو حذوه فهو رجل عاقل! لكني سرعان ما نسيت الأمر. فقد وسوس لي شيطاني ألا أفعل.

وعندما عدنا إلى الشارع الذي كنا نلتقي فيه دوماً بادرتني (بيكي) قائلة:

- (أوم). لقد وجدت الورقة التي كتب فيها (ستيوارت) اللغز وقال إنك ستساعدني في حله.

كنت أعلم عن أي شيء يتحدث اللغز قبل أن نحل رموزه ونعلم محتوياته. خاصة حينما كتب (ستيوارت) أنني أنا من سيساعدها في فك رموزه. قلت:

- هل تفكرين فيما فكرت فيه الآن؟

قالت:

- نعم، ولكن أخبرني بالذي فكرت فيه؟

قلت:

- لو أخبرتك فسوف أفسد المفاجأة، ولكن ما الذي فكرت فيه أنت يا (بيكي).

قالت:

- أن (ستيوارت) يريدنا أن نبقى أصدقاء فبحث عن شيء مشترك يشغلنا لتمضية بعض الوقت ولنتذكره به كلما عملنا معاً فكتب لنا هذا اللغز.

ابتسمت ولم أجب، ونظرت إلى اللغز فرأيت أنه مكتوب بلغة التكديس هكذا:

٢٠١٢+٠١١+١١٨ ١٩+٢٠+١٥+١٥+١٦ + ٧٧١٧١٤٤٣١٩ +12+15+20+24+1+18+2

قالت (بيكي)

- هذا لغز صعب! فلم أفهم منه شيئاً! ولا أعرف الهدف منه فهو مجرد أرقام!

قلت لها:

- في الواقع هو صعب ومستحيل فك رموزه لمن لا يعرف شفرته.

قالت:

- وهل له شفرة معينة وأنت تعرفها أيها الذكي؟

ضحكت لسخريتها مني ولذت بالصمت بعد أن وضعت ورقة اللغز في جيبي ووعدتها بالبحث لمحاولة فك رموزه مستقبلاً.

قلت لها:

- (بيكي) من الذي يقيم في منزل أمك المتوفاة؟

قالت:

- لا أحد! فقد بقي مهجوراً منذ مقتل أمي واختفاء زوجها.

قلت لها:

- أين يقع هذا المنزل؟ هل لديك عنوانه؟ هل يقع في شارع براكستون؟

قالت:

- نعم، ولكن كيف عرفت؟

قلت:

- مجرد حدس. فما رأيك أن نزوره يوماً؟

قالت:

- لا أريد فهو يذكرني بمقتل أمي وبالعذاب الذي كان يقع عليَّ كل يوم من زوج أمي.

قلت:

- (بيكي) أنت أصبحت كبيرة وناضجة، وما حدث لك في الماضي هو الآن مجرد ذكريات. صحيح أنها مؤلمة لكني متأكد أنك قوية وأنك تستطيعين تجاوزها، وأنا معك وأدعمك لتعود حياتك طبيعية.

ترددت قليلاً ثم قالت:

- لو ذهبنا لزيارة المنزل فهل تعدني أنك ستدعمني حتى أتجاوز هذا الموقف؟

قلت:

- (بيكي) أنت لن تذهبي لزيارة المنزل فقط، بل أنت في الواقع تملكينه، وأظن أن القانون يسمح بذلك فقد اهتممت بهذا الأمر من أجلك وسألت أحد المحامين وأخبرته أن أمك وأباك لم يتركا وصية لك بشأن المنزل فقال لي: يخضع نظام الميراث بدون وصية لقانون ولاية كاليفورنيا، وينص على أن أقرب أقاربك سيرثون ممتلكاتك، بغض

النظر عن علاقتك بهم أو رغباتك الشخصية فمنزل والديك هو لك لكونهم لم يكتبوا أي وصية وأنت الابنة الوحيدة.

قالت:

- حقاً! لكني لست مهتمة.

قلت:

- أن يكون لك بيت هو أفضل من الحياة في الطرقات والملاجئ يا (بيكي). على الأقل هيا بنا نسجل زيارة للمنزل ومن بعد ذلك يمكنك أن تقرري ما تريدين.

ترددت قليلاً، لكنها وافقت آخر الأمر. واتفقنا أن نذهب صباح اليوم التالي لرؤية المنزل. قالت لي:

- لا بد أنه سيكون مثل بيوت الأشباح، فقد مضت سنوات طويلة منذ أن قتلت أمي وأخذوني لملجأ الأيتام. ومنذ ذلك الوقت لم يعتن به أحد. ولكن هل نصطحب المجموعة معنا لرؤية المنزل؟

قلت:

- ليس هذه المرة يا (بيكي) لكن ربما فيما بعد. دعينا نذهب أنا وأنت فقط لتفقد المنزل وتهيئته. ثم ندعوهم للزيارة بعد ذلك.

في صباح اليوم التالي كنا مستعدين للذهاب للمنزل فطلبنا سيارة الأجرة. وعندما أصبحنا بداخلها قلت للسائق:

- أرجوك خذنا إلى هذا العنوان!

وناولته قصاصة مكتوباً عليها العنوان. فقالت (بيكي):

- عجباً! كيف عرفت العنوان ومن أين حصلت عليه؟

قلت لها:

- إنه مجرد حدس وتوقع وأرجو أن يكون صواباً!

قالت:

- أنا أعرف العنوان فلماذا نعتمد على الحدس والتوقعات؟

قلت:

- دعينا نجرب وأرجوك ثقي بي هذه المرة.

قالت:

- كلما تقول هذه العبارة تحدث كارثة، ففي المرة الماضية قلت لي ثقي بي هذه المرة ثم أخذتني إلى المستشفى فوجدنا جثة (ستيوارت)!

رغم أن الموقف لم يكن يحتمل الضحك لكني ضحكت وقلت لها:

- أعدك أن يكون الأمر مختلفاً هذه المرة.

وبعد عدة دقائق أمضيناها في سيارة الأجرة قالت:

- ياللهول يا (أوم) إننا نسير في الاتجاه الصحيح نحو المنزل. هل أخبرك (ستيوارت) بالعنوان؟

- كلا لم يخبرني! ولن أقول لك كيف حصلت على العنوان. إنها مفاجأة.

ساد الصمت بيننا مدة، أوصلتنا سيارة الأجرة خلالها للمنزل. كانت دهشة (بيكي) أثناء ذلك كبيرة، وقد تركتها تضرب أخماساً بأسداس لتعرف كيف تحصلتُ على العنوان، وهي لم تخبرني به ولا يعرفه أحد سواها أو (ستيوارت) الذي تأكدت بالفعل أنه والدها الحقيقي. وقد أكدت لها أن (ستيوارت) لم يخبرني بالعنوان، فبقيت محتارة. ولكن يبدو أن مشاعر الحزن لما حل بأمها وبها في هذا المنزل قد اختلطت بذكريات الطفولة، وغيرها من ذكريات مفرحة أو مؤلمة. ولما ترجلت من سيارة الأجرة بدت مترددة في الدخول، لكني شجعتها فدلفنا داخل المنزل. سارت مباشرة نحو غرفة أمها، ورأيت الدموع تجري على خديها وهي تنظر يميناً وشمالاً وكأنها تبحث عنها. لكني بقيت خارج الغرفة. ثم رأيتها تخرج وتتجه نحو غرفتها. قالت لي: تعال معي فامتثلت. كانت غرفتها مليئة بألعاب الأطفال وبأغراضها القديمة. وكان من الواضح أنها عاشت طفولتها في هذه الغرفة، وأن لها فيها ذكريات كثيرة. لكني كنت مهتماً بأمر آخر مختلف تماماً، فبعدما غادرت غرفتها قلت لها:

- هل توجد معاول في هذا المنزل؟

قالت:

- نعم. أذكر أن المرآب به صندوق ضخم للآلات والأدوات. ولكن لماذا تريد المعاول يا (أوم)؟

لم أجب عن سؤالها وتوجهنا إلى المرآب، وتبعتني فوجدنا صندوق الآلات والأدوات، فأخذت المعول ورافعة حديدية، ثم توجهت مباشرة إلى عتبة المنزل. تبعتني صامتة وعلامات التساؤل تملأ وجهها. كانت هناك عتبة واحدة عريضة أمام الباب. استخدمت المعول لإزاحة التراب الذي حولها واستخدمت الرافعة لتحريك العتبة الإسمنتية وإزاحتها عن موضعها. استولى الفضول على (بيكي) فجاءت تراقب عن كثب. قلت لها:

- ساعديني لتحريك العتبة!

قالت:

- ما الذي تبحث عنه هنا؟ فلا يوجد شيء!

قلت لها:

- سوف نعرف الآن!

في حين استخدمت كل ما تبقى لي من قوة لإزاحة العتبة عن موضعها كانت (بيكي) تدفع بقوتها وبالفعل تحركت العتبة بضع بوصات. كانت الفتحة كافية لننظر من خلالها لنرى ما يوجد أسفل العتبة. قفز قلبي من موضعه. فقد كان هناك صندوق ضخم، واصلنا العمل فأزحنا العتبة بالكامل فظهر الصندوق جلياً. كان مغلقاً من الأعلى بغطاء مثبت بالمسامير. جلبنا أداة لإزالة تلك المسامير واستغرق العمل منا حوالي نصف الساعة. وحين رفعنا الغطاء كان الصندوق ممتلئاً بالدولارات من

الفئة الكبيرة، ولكنها مغلفة بغلاف من النايلون السميك لوقايتها من الرطوبة. قدرت أن هذه ثروة ضخمة. لاحظت أن (بيكي) ترتجف من فرط الإثارة والانفعال. قلت لها:

- (بيكي) أنت ترتجفين!

قالت:

- وكذلك أنت!

انتبهت إلى أنني أيضاً أرتجف من الإثارة وكأنما صعقتني كهرباء.

قالت:

- كيف عرفت موضع هذه النقود؟ وهل هذا متعلق باللغز الذي تركه لنا (ستيوارت)؟

قلت:

- نعم فقد فككت رموزه فور أن رأيتها لكني لم أخبرك وقتها. وسوف أشرح لك الآن إذ لم يكن من الصعب عليَّ فك هذه الرموز لكوني أعرف الطريقة التي كتبت بها، فقبل فكها تقرأ هكذا:

٠١٢ أي:اجلبوا + ٠١١ (الجبن والكعك) +من ١٩+٢٠+١٥+١٥+١٦ أي: عتبة stoop رقم ١٧١٧٧

+12+15+20+24+1+18+2 أي Braxton الرمز البريدي 91344

عند ترجمة العبارة فإنها تقرأ: ابحثوا عن النقود تحت عتبة رقم ١٧١٧٧ براكستون 91344

ذلك أن الحروف الأبجدية الإنجليزية وفق ترتيبها تقرأ:

19+20+15+15+16

STOOP

2+18+1+24+20+15+12

B+R+A+X+T+O+N

قالت:

- السؤال المدهش هو كيف تمكن (ستيوارت) من إخفاء هذه النقود تحت عتبة بابنا طوال هذه المدة ولم يعلم بها أحد؟

قلت:

- الإجابة عن سؤالك هذا تؤكد أن (ستيوارت) هو والدك بالفعل، فالجيران اعتادوا على رؤيته أمام بيته حتى بعدما حدث له ما حدث، فحين يحفر أمام عتبة البيت فلن يشك أحد. والدليل الآخر هو أنه اهتم بترك هذه الأموال لك وحدك!

قالت:

- سوف أقيم لـ(ستيوارت) مأتماً يليق به من هذه النقود.

أدركت أنها قد بدأت تعود إلى رشدها شيئاً فشيئاً، وأنها في قرارة نفسها قد قبلت (ستيوارت) أباً لها. ثم رأيت أنها سرعان ما تمالكت نفسها وأخذت تتجول في المنزل وتفكر في كيفية ترميمه وإصلاحه.

عدنا مرة أخرى إلى المجموعة، فكانت (بيكي) في هذه المرة هي غير (بيكي) التي غادرتهم صباح ذلك اليوم. كان الجميع مندهشين ومتعجبين لهذا التغير المفاجئ، ولكننا لم نخبرهم بمغامرتنا الصباحية.

لاحظت بعد ذلك أنها توقفت عن رمي الطعام وقذف زجاجات الماء في الطريق وراء ظهرها. كما أنها بدأت تعتني بشعرها وتذهب إلى المراحيض لقضاء الحاجة بدلاً من قضائها في أي مكان في العراء. أظن أنني أفلحت في إنقاذ هذه الفتاة من حافة الضياع.

في صباح اليوم التالي توجهت إلى الكلية كالعادة، فأحسست أن هناك من يتعقبني حين كنت أسير من منزلي متوجهاً نحو المختبر، ولكني لما التفت ورائي لم أر أحداً. ظننت لأول وهلة أن العصابة تراقبني وتتبعني في الطريق. قلت لنفسي فليفعلوا ما يحلو لهم فأنا لست عازماً على المضي في طريقهم. وحينما وصلت المختبر استغرقني أداء واجباتي كالمعتاد ونسيت الأمر. إلا أنه بعد يومين تواصل معي مسجل الكلية ليبلغني أن تكاليف الدراسة أصبحت مدفوعة بالكامل. قلت له أنا لم أدفع شيئاً فما الذي حدث؟ قال لي: لقد سددها أحدهم وطلب عدم الإفصاح عن اسمه،

ونحن نلتزم بالسرية والخصوصية ولن نفصح لك عنه! وحقيقة لم أعلم من الذي سدد هذه الرسوم: هل هم أفراد عصابة الدم مثلما وعدوا؟ أم يا ترى هي (بيكي) التي أصبحت ثرية بفضل النقود التي وفرها لها والدها فأرادت أن تكافئني لأنني ساعدتها في العثور عليها حين حللت اللغز؟

رغم أنني بقيت محتاراً إلا أنني لم أفرح كثيراً لهذا الأمر، فقد كنت عازماً بيني وبين نفسي أنني لا بد أن أغير وجهتي تماماً، فأكرس جهدي لما جئت من أجله. قلت لنفسي كفى انحرافاً، فقد آن الأوان لأن أستقيم على جادة الدرس والتحصيل وأن أتخلى عن طريق الظلام، فلو تبعت فضولي واستمعت لوسواسي فلن أفيق من غفلتي.

إن هذا الشيطان المارد الذي استيقظ في نفسي منذ قدومي لهذه البلاد وبقي بداخلي طوال هذه السنوات لن يغويني. لقد بذل كل ما يستطيع من جهد وأنفق كل ما أتيح له من وقت واستخدم جميع الحيل والخدع التي أتقنها عبر عمره الطويل، فجرَّبها مع الغير، وأطلق كل ما في جعبته من سهام، لكنني قاومته فصرعته.

لقد استيقظت هذا الصباح فرأيت أنني ما زلت أحتفظ بإنسانيتي وكرامتي وعقلي. ما زلت أنتمي لوطني ومجتمعي وأسرتي وأهل بيتي. أنني ولدت في أهل بيت مسلمين. أنني أستطيع أن أقرر مسار حياتي ومصيري ومستقبلي بيدي لا بيد الآخرين. أن القلم ما يزال في يدي. أنني

جئت إلى هذه البلاد للدراسة والتحصيل، وليس الانتماء للعصابات ومراقبة فتية الشوارع ومجتمع الجريمة والمخدرات وتجارة الأسلحة.

سوف أعود إلى كتبي لأطالعها، ولواجباتي فأكتبها، وللمكتبة فأنهل منها، وللمختبر فأنغمس فيه، وللرياضيات والنظم والتطبيقات والعلوم فأتقنها. أهلي ينتظرونني. إن صبرهم لم ينفد بعد، وكذلك صبري. أيها الشيطان الذي استيقظ بداخلي في لحظة من لحظات التهور والغفلة، وأراد أن يغويني ويستغلني لتحقيق مآربه: هات ما عندك أيها الضعيف المسكين، فأنا سأظل أقوى منك، لأنني إنسان، وأنني مع الله فمن معك؟

❊❊❊

العودة إلى الأرض الطيبة

أقول لكم:

لقد مضت سنوات عديدة على هذه الأحداث التي شهدتها في مرتفعات بروكلين بنيويورك، ثم بعد قدومي إلى مدينة لوس أنجلوس. إن ما حدث لي في هاتين المدينتين يُعَدُّ ضرباً من الخيال الذي لا يكاد يصدقه أحد. لقد بقيت في ذاكرتي وحفرت في نفسي عميقاً، وأتوقع أن تبقى إلى الأبد. لقد كانت أحداثاً عاصفة فعلاً، عشت لحظاتها وذقت مراراتها لكنها أكسبتني مناعة وقوة ضد شيطاني هذا فأصبحت ناضجاً وعاقلا. لقد أكملت الدراسة التي سافرت من أجلها فقطعت البحار والمحيطات. أكملتها بحمد الله، ونلت الدرجات العلمية.

كان صباحاً شتائياً بارداً، بقيت فيه خارج قاعة المناقشة أنتظر النتيجة النهائية، بعد مناقشة أطروحتي وأعمالي التي قدمتها لتلك اللجنة، وبعدها طلبوا مني الانتظار خارج القاعة، في حين بقي المناقشون يتداولون حول إجازة ما قدمته لمنحي الدرجة العلمية. بقيت في الانتظار وحيداً ولم يكن

معي أحد. شغلت نفسي باستعادة أحداث السنوات الماضية منذ قدومي إلى هذه البلاد، ثم خرجت المشرفة لتقول لي:

- مبارك لك. لقد وافقت اللجنة على منحك الدرجة العلمية. أنا أعلم أنك تنوي العودة إلى بلدك فأنصحك البقاء هنا لكون تخصصك هذا من التخصصات النادرة، وهي ليست متوفرة في بلادكم، ولذا فلن تجد هناك أي فرصة للعمل في مجالك هذا.

قلت لها:

- أشكرك للنصيحة، لكن كلامك هذا يؤكد أنني يجب أن أعود إلى بلادي، لأنه ليس فيها مثل تخصصي، ولذا فهم يحتاجونني بينما أنتم لا تحتاجونني، لأنه يوجد لديكم كثيرون في نفس المجال.

وبعد عدة أيام بينما كنت أستعد للسفر التقيت بشاب أسمر ضخم جداً طويل القامة، كان يتجول في الطرقات القريبة من منزلي. وحالما رأيته تذكرت ذلك اللص الضخم العملاق الذي سلبني أموالي في أحد شوارع بروكلين هايتس في نيويورك منذ عدة سنوات. كان هذا الشاب يشبهه في ضخامته وطوله، لكني لم أر وجه ذلك اللص وقتها، بينما رأيت وجه هذا الرجل، وهو وجه يدل على الهدوء ويبعث على والراحة النفسية. قلت لنفسي: "بالقطع ليس هو لص بروكلين". وبينما كنت أحدث نفسي بالعربية موقناً أنه لن يفهم كلامي إذا به يتوجه صوبي ثم يقترب ويسألني:

- عفواً هل أنت عربي؟

باغتني بهذا السؤال فقلت:

- نعم، ولكن ما المناسبة؟
- سأخبرك بالمناسبة، ولكن قل لي هل أنت من العربية السعودية أو تعرف عنها شيئاً؟
- نعم أعرف الكثير!
- حقاً؟ أنا مهتم جداً بالتعرف عليها.
- لماذا؟ ما المناسبة؟
- لأنني حصلت على عقد للعمل مع شركة تعمل هناك في مدينة اسمها جدة!
- يا للمصادفة العجيبة! أنا درست وأقمت في جدة!

لم يخف دهشته، وفي واقع الأمر كنت مندهشاً أيضاً. وسرعان ما دعوته للجلوس في المقهى القريب من منزلي لنتحدث ونحتسي القهوة. أخبرني أن اسمه (جيمي سانفورد) وأنه متخصص في هندسة التبريد والتكييف، وقد حصل على عقد لعمل مع شركة اسمها (ليتون)، متخصصة في تقنيات الدفاع الجوي وأنظمة الرادار والقيادة والسيطرة، وأنه يتوقع أن يتعاقد معهم لتدريب الطلاب السعوديين من العسكريين الذين قدموا

للتدريب بمعسكرات الدفاع الجوي في فورت بلس بولاية تكساس، ثم من بعد ذلك يرافقهم للعمل هناك بمعهد قوات الدفاع الجوي بجدة!

ثم سألني ما تخصصك؟ ولما أخبرته قفز من مقعده وقال لي:

- هل تعلم أنهم يبحثون عن شخص في نفس مجالك للعمل معهم بشرط إتقان اللغتين العربية والإنجليزية؟ أظنك ستكون أنت هو الرجل المناسب يا صديقي لتدريب الطلاب في فورت بلس تكساس، بل والسفر إلى السعودية ضمن عقد شركة (ليتون). فهل أنت مهتم؟

قلت له:

- نعم أنا مهتم، ولو قبلوني لأعمل معهم فسوف أعود إلى الأرض الطيبة فوراً.

وهكذا كان.

ولكن:

هل أخبرتكم أن (جيمي) فاجأنا يوماً بالعودة إلى أمه (مادلين)؟ حدث ذلك قبيل مغادرتي إلى تكساس للالتحاق بالعمل. كانت مفاجأة سارة، لي ولهذه المرأة الطيبة (مادلين). أخبرنا أنهم خففوا العقوبة فأطلقوا سراحه قبل انقضاء المدة، وذلك لحسن سلوكه أثناء سنوات الحبس في سجن سوليداد. لقد كادت أمه تموت من الصدمة حين علمت أنه كان في

الحبس طوال السنوات الماضية ولم تعلم بذلك ولم يخبرها أحد وبذا لم تقم بزيارته.

أما ما الذي حدث لي بعد ذلك مع هذا العملاق الأسمر (جيمي سانفورد) من مغامرات؟ فتلك حكاية أخرى. ربما أقصها عليكم لاحقاً.

❋❋❋

انتهت